الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية-أدرار
كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التّاريخ

الرّحلات الحجيّة بالسودان الغربي وأثرها الحضاري على المنطقة ما بين القرنين 8-12هـ/14-18م

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطّالبين:
عبد الرّحمان ساحسي
بغدادي منّاد

إشراف الدكتور:
عبد الله بابا

لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة
أ.د عبد الرحمن بعثمان	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. عبد الله بابا	أستاذ محاضر (أ)	مشرفاً ومقرّراً
د أحمد بوسعيد	أستاذمحاضر (أ)	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2021-2022م

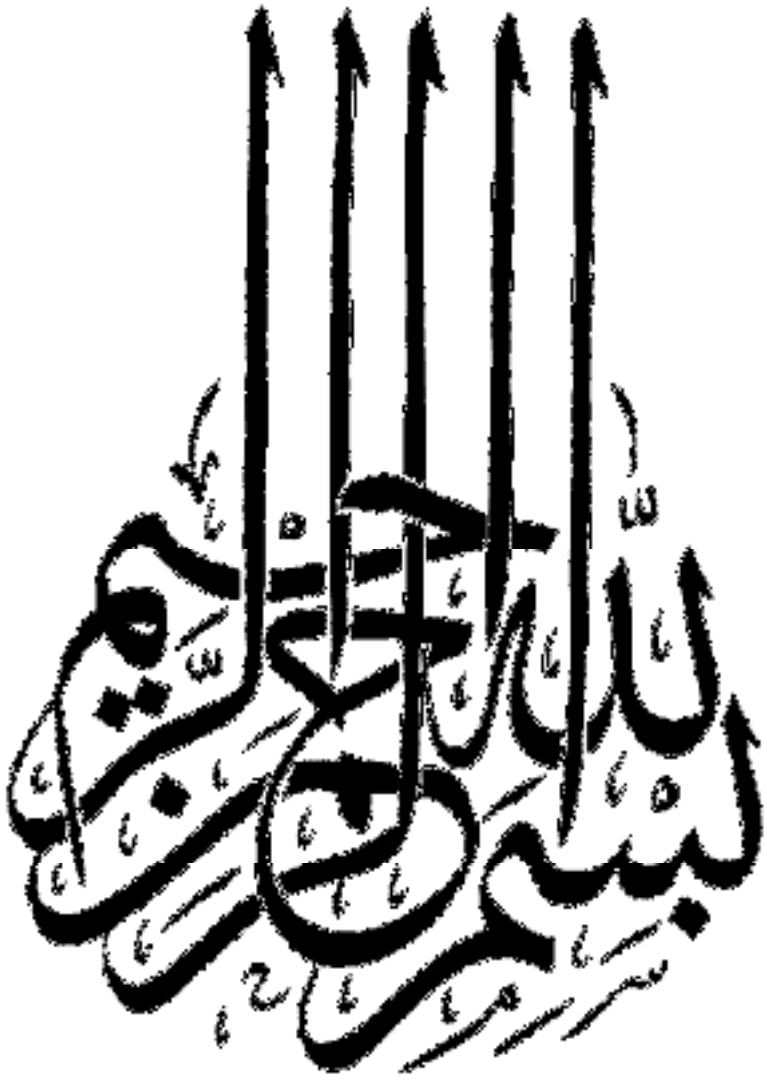
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

اهدي هذا البحث:

إلى من قال في حقهما عزّ وجلّ: ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾

إلى من حملتني وربتني وجعلتني رجلا، وغمرتني بحنانها .أمّي العزيزة،

إلى الذي أحترق لينير لي درب الحياة وزرع في نفسي حب العمل والاجتهاد ...أبي العزيز.

إلى شريكة حياتي زوجتي الغالية التي تدفعني إلى الجد والاجتهاد وتتحمل معي مشاق الحياة.

إلى فلذات كبدي عفاف ولقمان وهاجر ومحمد بلكبير،

إلى جميع إخواني وأخواتي، وإلى كل صديق وفي

إلى جميع المشايخ والأساتذة الذين درست عندهم،

إلى كل الأقارب والأحباب وكل من كان له صلة بنا.

إهداء

أهدي بحث تخرجي هذا إلى :

إلى مصدر نجاحي ونور دربي أمي وأبي الكريمين

إلى شريكة حياتي وأم أولادي التي تشق معي بحر الحياة

إلى بناتي رقية وفاطمة وخديجة وأخيهم محمد الحسين،

وزينب المولودة الجديدة

إلى أخي وأخواتي، جميع الأهل، الأحباب والأصدقاء

إلى أساتذتي في كل مساري الدراسي

إلى كل من مدّ لنا يد العون لإخراج هذا البحث

شكر وعرفان

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾سورة إبراهيم الآية 7.

نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما منَّ علينا من توفيق في إنجاز بحثنا، كما نتقدم بجزيل العرفان والشكر لأستاذنا الفاضل:

الدّكتور عبد الله بابا

الذي تفصل بقبول الإشراف على بحثنا ومتابعته متابعة مستمرة فجزاه الله عنا خير الجزاء

كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة وكل الذين وضعوا بصماتهم على هذا العمل.

عبد الرحمان - بغداد

قائمة المختصرات:

الرمز	التسمية
إش	إشراف
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د.ط	دون طبعة
د.س	دون سنة
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ج	الجزء
ص	الصفحة
ع	عدد
/	الحد الفاصل بين التاريخ الهجري والميلادي
تق	تقديم
تع	تعليق
مج	مجلد
ت	توفي أوالمتوفي
د.م	دون مكان

مقدمة

يعد الحج إلى بيت الله الحرام أحد أركان الإسلام، ولذا كان الحرص على أداء هذه الفريضة من طرف المسلمين حُكاما ومحكومين، وكانت تنفق الأموال الطّائلة وتضرب أكباد الإبل لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وقد حرص سلاطين وملوك السودان الغربي على تنظيم رحلات حجيّة عدّها المؤرّخون من أشهر وأضخم وأفخم الرّحلات الحجية على الإطلاق، بالرغم من بُعد المنطقة ووعورة الطريق إلى مكّة، لقد نظّم حكّام السّودان الغربي بداية من القرن السّابع الهجري رحلات حجيّة وصل عدد افرادها الآلاف، وكانت لهذه الرحلات مميزات بالإضافة إلى دور حضاري ساهمت فيه وفي مختلف المجالات على تقدم وازدهار السودان الغربي خاصة مملكة مالي ودولة صنغاي.

وعليه تعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، إلى إبراز الدّور الحضاري الذي أنجرّ عن التواصل بين مختلف مناطق العالم الإسلامي، والإحاطة بالجوانب المختلفة، مع ذكر أهم الرّحلات الحجيّة ومختلف المرويات حولها، والتي تحتاج منا إلى المزيد من البحث والتعمّق للتّعريف بها واستخلاص أهم نتائجها الحضارية.

وعلى هذا الأساس تندرج إشكالية بحثنا في الإحاطة بأبرز الرحلات الحجية السودانية وانعكاساتها على الجوانب الدينية واللغوية والاجتماعية والعمرانية لمنطقة السودان الغربي، ولتوضيح هذه الإشكالية يمكننا طرح التساؤلات الجزئية الآتية:

– ما مفهوم الرّكب والرّحلة الحجيّة؟ وماهي أبرز الرّحلات الحجيّة السّودانية وقادتها؟

– ما الدّور الحضاري للرحلات الحجيّة على بلاد السودان الغربي؟

هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عليها من خلال موضوع هذا البحث الذي اعتمدنا المنهج التاريخي فيه لتتبع أهم الرحلات الحجية السودانية، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية بنقدها واستقراء أهم المعلومات التي لها علاقة بمجال الدراسة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق وفهارس على النحو الآتي:

– الفصل الأول عبارة عن دراسة مفاهيمية، تمّ التطرق في مبحثه الأول إلى تبيان المجال الجغرافي للسودان الغربي، حيث اعتمدنا فيه على أهم الدراسات التي حددت النطاق الجغرافي لهذه المنطقة وأهم الأمصار التي شكلّت هذا الإقليم، أمّا المبحث الثّاني تناولنا فيه مفهوم الرّكب والرّحلة الحجيّة، وفي المبحث الثالث تطرّقنا إلى الحج السّوداني، دوافعه وطرقه، وختمنا هذا الفصل بمبحث رابع ذكرنا فيه أهم شيوخ الحج السّوداني.

– أما الفصل الثّاني تعرضنا فيه إلى أهم الرّحلات الحجية السودانية، وقسمنا هذا الفصل كذلك إلى أربعة مباحث، ففي المبحث الأوّل تعرضنا فيه إلى رحلة منسى موسى، ورحلة الأسقيا الحاج محمد الكبير في المبحث الثاني، أما في الثالث تناولنا فيه رحلة البرتلي الولّاتي.

– بخصوص الفصل الثالث فقد عنوناه بالدور الحضاري للرحلات الحجية على بلاد السّودان الغربي، قسمناها إلى ثلاث مباحث، تعرضنا في المبحث الأول إلى انتشار الإسلام والمذهب المالكي، أمّا المبحث الثّاني فقد تطرقنا فيه إلى انتشار العلوم والثقافة العربية، وفي المبحث الثالث وضّحنا التأثير الاجتماعي للرحلة الحجية على بلاد السودان الغربي.

اعتمدنا في هذه الدّراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي أفادتنا في بحثنا، من بينها:

المصادر:

– ابن بطوطة: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.وهو المشهور برحلة ابن بطّوطة، ويعتبر خلاصة تجربة لرحلاته وسياحته في المعمورة، حيث تكلم في هذا الكتاب في جزء منه على السودان الغربي التي زارها في سفارة من قِبل "أبو عنان المريني"، حاكم دولة بني مرين في المغرب الأقصى، فوصف حياة المجتمع السوداني ونمط عيشه وسياسة ملوكه، وهو يعتبر شاهد عيان معاصرا لبعض للأحداث التي كتبها.

– العمري ابن فضل الله شهاب الدّين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار يعد هذا الكتاب موسوعة عربية، حيث سجل حدود وأقاليم وجيوش وأرزاق مملكة مالي، وذلك خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

– البكري أبو عبيد الله: المسالك والممالك هو أهم مؤلفاته، حيث جمع بين التاريخ والجغرافيا، وتحدث في أقسام من كتابه عن الكثير من شعوب العالم وملوكها، منها ممالك بلاد السودان الغربي، وقد اشترك في اعتماد الأسطورة في بعض الأجزاء.

– محمود كعت: تاريخ الفتاش: وهومن أبرز المصادر التي تكلمت عن السودان الغربي، حيث يعد من علماء هذه المنطقة وأحد أبرز قضاتها، ويعد هذا الكتاب من المصادر التاريخية الهامة عن مملكة مالي وصنغاي التي عاصر بعض حكامها، خاصة الأسقيا محمد الكبير الذي حجّ معه في رحلته الحجية سنة 902هـ/1496م، وقد توفي المؤلف ولم يكمل كتابه، بل أكلمه ابنه وحفيده، وهذا ما يعتبر إثراء وإسهام علمي يؤكد اهتمام الأبناء بإرث الآباء، وهو ما يعطي اهمية كبرى لهذا الكتاب، رغم وجود تضارب في كثير من الروايات التاريخية الواردة في عدد من صفحات الكتاب، وكذا بعض الأساطير كالتي ذكرها عن تزكية الجن للأسقيا بالخلافة.

– عبد الرحمن السعدي: "تاريخ السّودان "يعتبر من المصادر المهمة في تاريخ السودان الغربي باعتبار أن مؤلفه مقرب من بلاط الحكم آنذاك، كما أنه نقل عن كتابات أحمد بابا التنبكتي، بالإضافة الى المناصب الرسمية التي شغلها، ككاتب وموثق في ظل حكم السنغاي.

– الرحلة المباركة للحاج محمد البشير البرتلي الولّاتي إلى الحرمين الشريفين المسمّاة "أقدم رحلة شنقيطية مدوّنة".

– المراجع:

– الهادي المبروك الدّالي: كتابيه " التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء" و"مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا"حيث تعتبر كتاباته مفيدة في العديد من

جوانب بحثنا، خاصة أنه يعتمد على المخطوطات والوثائق التي لم يتوصل إليها الكثير من الباحثين وذلك بحكم علاقاته وزياراته المتكررة إلى منطقة السودان الغربي.

– عبد القادر زباديه: "مملكة صنغاي في عهد الأسقيين" تكلم في هذا الكتاب عن تطور نظام الحكم في صنغاي في ظل الأساقي، والذي انعكس على جميع مناحي المملكة، خاصة الحياة الثقافية والعلمية، يعتبر هذا المؤلف من الذين انتقدوا الدراسات التي شملت بلاد السودان الغربي حيث اقتصرت على العموميات، في حين أنه كان من الأجدر الغوص في الجزئيات لبلوغ الحقائق عن تاريخ هذه المنطقة.

– عبد الهادي التّازي: "رحلة الرّحلات، مكّة في مائة رحلة مغربية ورحلة" يعتبر مرجع مهمّا، أرّخ فيه للعديد من الرّحلات الحجّية الرسمية وغير الرّسمية، حيث سرد فيه أكثر من مائة رحلة، ابتداء من القرن السادس إلى الخامس عشر الهجري.

بالإضافة إلى مجموعة من الأطروحات والرسائل الأكاديمية، والمقالات التاريخية تنوعت ما بين ندوات وبحوث ودوريات.

ولقد واجهتنا عدّة صعوبات، أبرزها:

– صعوبة الوصول إلى المادة التاريخية التي أرّخت لتفاصيل الرّحلة الحجية لهذه الفترة، وكذا صعوبة فهم الأحداث التاريخية والخلاف بين المؤرّخين في سردها.

– اختلاط الحقيقة التاريخية بالأسطورة وتضارب الإحصائيات في بعض الأحداث.

وفي الأخير نأمل أن نكون بهذه العمل العلمي، قد بذلنا كل ما في وسعنا من جهد للإلمام بجوانب الموضوع وللإسهام في حقل الدراسات التاريخية لإفريقيا جنوب الصحراء ولو بالجزء القليل، وندعو المولى عزّ وجل أن يجعل جهدنا هذا في ميزان حسنات أساتذتنا الأفاضل، ومن درّسونا، وكل من أفادنا ودعّمنا لإخراج هذا العمل إلى النّور من قريب أو بعيد، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرّشاد.

الفصل الأول:

ركب الحج السوداني دراسة مفاهيمية

- المبحث الأول: دراسة جغرافية للسّودان الغربي
- المبحث الثاني: مفهوم الرّكب والرّحلة الحجّية
- المبحث الثالث: ركب الحج السّوداني دوافعه وطرقه
- المبحث الرابع: شيوخ ركب الحج السّوداني

تعتبر الدراسة المفاهيمية مدخلا وتعريفا للسودان الغربي وإبرازاً لأهمية هذه المنطقة في إفريقيا والعالم الإسلامي وقد خصصنا هذا الفصل كدراسة مفاهيمية تناولنا فيها دراسة جغرافية للسودان الغربي وكذا مفهوم الركب والرحلة الحجية بالإضافة إلى الحج السوداني دوافعه وطرقه، فما هو مفهوم الركب والرحلة الحجية؟، وما هو الموقع الجغرافي للسودان الغربي وأصل هذه التسمية؟

المبحث الأوّل: دراسة جغرافية للسّودان الغربي:

أولاً: تحديد الموقع الجغرافي وأصل التسمية:

كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، وسمو بلادهم "بلاد السودان " أما أصل هذه التسمية لديهم، فقد استوحوا فيه لون البشرة عند سكان تلك المنطقة، وينقسم السودان إلى ثلاث مناطق، السودان الشرقي، السودان الأوسط، السودان الغربي أو ما يعرف بإفريقيا الغربية[1].

لم تكن تسمية السودان الغربي معروفة لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين، إلاّ عند اكتشاف منابع نهري النّيل والنّيجر، في القرن التاّسع عشر، وعرف أنهما نهران منفصلان، وليسا نهراً واحداً، كما كان يُعتقد وقد أُطلق حينها اسم السّودان الغربي على منطقة مجرى نهري السّنغال والنّيجر. بينما كانت تسمية السّودان تعني منطقة أوسع بكثير من هذه المنطقة لدى المؤرّخين والرحّالة المسلمين، مثل ابن خلدون، وابن بطّوطة، فقد كانوا يَعدّون أن بلاد السّودان هيكل المناطق المترامية جنوب الصحراء الإفريقية، من المحيط الأطلسي غرباً حتّى نهر النيل شرقاً، وقد أضاف ابن خلدون أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة كوري "بحيرة تشاد" شرقاً وجنوب الصحراء الكبرى

[1]–عبد القادر زباديه: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493–1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ص15.

شمال خط الاستواء بين خطي عرض11° و17 °درجة شمالا، وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى[1].

في حين أن البكري كان قد أطلق كلمة السودان في القرن الخامس عشر هجري (الحادي عشر ميلادي) على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل الشرقي، وذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن، ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد العرب المغاربة من جنوب المغرب إلى بحر المحيط.أما ابن حوقل فقد حدد المنطقة بقوله" أما جنوبي الأرض من بلاد السودان، فان بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف...غير أن له حدّاً ينتهي إلى البحر المتوسط وحدٍّ له ينتهي إلى برية بينه وبين ارض المغرب، وحدٍّ له بين برية بينه وبين مصر على ظهر الواحات[2].

ثانياً: الخصائص الطبيعية

1- التضاريس:

تتنوع تضاريس بلاد السودان الغربي، من جبال وهضاب وصحاري واسعة تتخللها كثبان رملية. فالجبال تتمثل أساسا في سلسلة جبال عبر طريق سيفو، جاو، وحجار، وأهير وجبال أورار الشرقية والغربية.وترتفع بعض مناطق الصحراء إلى 1800 متر فوق سطح البحر وتنخفض أخرى 30 متر تحت سطح البحر، تنتشر فيها كثبان رمال والواحات الكبيرة، كما

[1] – مقادم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي، سنغاي)،ق7 هـ/16،13م،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية،إش: بن نعيمي عبد الحميد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلّة، وهران، ص7.

[2] – قدوري عبد الرحمان: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي، دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، في العصر الوسيط، إش: بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان(د.س)،ص15.

توجد الهضاب الصخرية، والمسالك الفسيحة والسلاسل الجبلية المتقطعة، وكذلك الوديان، وتقدر مساحة الصحراء التي تسيطر عليها حوالي التسع 10/9[1].

تتشكل إفريقيا الغربية من هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبتة، وتمتد تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي. وتنقسم من الشمال إلى الجنوب من الأقسام التالية:

أ- المنطقة الشمالية: تقع بين الصحراء الكبرى شمالا إلى واد النيجر الأوسط جنوبا، وهذه المنطقة صحراوية في اغلب مساحاتها تتخللها بعض الهضاب والواحات والوديان والعيون.

ب- المنطقة الوسطى: تمتد من بحيرة تشاد شرقا حتى منطقة فوتا تورو السنغالية غربا، وترتفع في وسطها هضبة النيجر، وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مزارع خصبة.

ت- المنطقة الجنوبية: وهي المنطقة المشرفة على خليج غينيا، وتضم عدة كتل جبلية، أهمها فوتا جالون، تغطي هذه المنطقة الغابات الاستوائية الكثيفة، وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية[2].

ويدخل في إفريقيا الغربية القسم الأكبر من منطقة الساحل الشبه الجاف والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من السودان شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينافاسو والنيجر وأقصى الشمال الشرقي لنيجيريا، تبلغ مساحة الساحل 4 مليون كلم مربع[3].

---

[1]– الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهايه القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، 1999،ص19.

[2] – محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كايريرا: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007،ص21.

3– المرجع نفسه.ص 21

المجاري المائية:

تعتبر الأنهار من أهم المجاري المائية في بلاد السودان الغربي، وقد ساهمت في حركة الملاحة وري الأراضي الزراعية، ومن أهم الأنهار في السودان الغربي:

أ- **نهر السنغال: يبلغ طوله 1600 كلم، وينبع من وسط غينيا (كوناكري)ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لويس السنغالية، والقسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة، وهو مصدر خصب للأراضي التي يمر بها[1].**

ب- **نهر النيجر: يبلغ طوله 4200 كلم، ينبع من الحدود الغينية مع سيراليون، يرفد هذا النهر كثير من الأنهار، يمر في كل غينيا (كوناكري)، ومالي والنيجر ثم يتجه إلى نيجيريا ليصب هناك في دلتا كبيرة، ونهر النيجر صالح للملاحة وهو مصدر هام للصيد، وقد قامت على ضفافه عدة حضارات بالإضافة إلى أنهار صغيرة[2].**

2- المناخ:

يخبرنا الإدريسي بأن الأمطار قليلة من صحراء نيسى، والتي يدخل عليها المسافرون إلى أوداغست وغانة وهي صحراء قليلة البشر والماء بها قليل، وشمسها قاتلة[3].

ثالثاً: الخصائص البشرية:

1- قبائل السودان الغربي:

أ- **قبائل الماندينغو(الماندي): ينتشرون في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر، خاصة في مالي وغينيا والسنغال وغامبيا، وتتميز صفاتهم الجنسية بطول القامة، مع البشرة فاتحة اللون، يدين معظمهم بالإسلام ويشتغلون بالزراعة على أسس صحيحة،**

[1] – محمد فاضل علي باري المرجع السابق ص 22.

[2] – المرجع نفسه ص22.

[3] – الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج، مكتبة الثقافة الدينية، ص108.

ويمارسون بعض الصناعات اليدوية بمهارة فائقة، وهم مؤسسو دولة غانا وكامبي القديمتين[1].

ب- قبائل الفولان: يتصفون بقلة السواد عن الزنوج، ويتميزون بطول القامة، وطول الجبهة العريضة، ويشتغلون في الرّعي كحرفة أساسية في حياتهم[2].

ت- قبائل البامبرا: يتمركزون عند المجرى الأعلى لنهر السنغال، وعند نهر النيجر، وكثيرا ما يعيشون في مستعمرات في ماسينا[3].

ث- قبائل التكرور: يقيمون بأعالي السنغال وأواسط النيجر، وكانوا أسبق الشعوب للإسلام، وحرفتهم الرئيسية الزراعة، وهم من ساهم في نشر الإسلام[4].

ج- قبائل الطوارق: ينحدر الطوارق من قبيلة ماسوفة، التي هي أحد أقسام صنهاجة، وقد رحلوا من اليمن عن طريق المغرب، وتفرقوا في الصحراء ما بين السودان وجبال الأطلس[5] حسب اغلب الأقوال.

ح- قبائل الهوسا: يسيطرون على معظم دولة نيجيريا، وكانوا سابقا في الأقاليم الوسطى لجنوب الصحراء شرقي نهر النيجر[6].

خ- قبائل العرب: ينتشرون في شمال مالي والنيجر، ويمثلون النفوذ الأكبر بموريتانيا، وقد جاؤوا الى بلاد السودان الغربي عن طريق الهجرات والتجارة، ومن أهم هذه القبائل: عرب المعقل من القبائل الحسانية مثل الرقيبات، أولاد دليم، الجكاكنة، البرابيش، مشطوف، أولاد غالا، أولاد يعقوب، إضافة إلى قبائل كنتة[7].

---

[1] – فيج، جي، دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر، سيديو سفنصر، دار المعارف، القاهرة، ص79.

[2] -عثمان باريما باري: جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، دار الأمين للطباعة، القاهرة، سنة2000، ص316.

[3] – فيج، جي، دي: المرجع السابق، ص79.

[4] – محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعةوالنشر (د.س)، ص593.

[5] – عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، 430.515هـ/1121.1038م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص32.

[6] – محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كايريرا، المرجع السابق، ص26.

[7] – أحمد ناجم الدين فليحة: إفريقيا دراسات عامة وإقليمية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة (د.س)، ص195.

المبحث الثاني: مفهوم الرّكب والرّحلة الحجّية:

أولا: مفهوم ركب الحج

1- لُغةً :

يذكر ابن منظور في " لسان العرب" أنّ الرّكب هو اسم من أسماء الجمع، كالسفر والرهط، وتصغيره "الرُّكَيْب"، وهم أصحاب الإبل في السفر دون غيرها من الدّواب[1].أمّا مرتضى الزبيدي جَوّزَ إطلاق لفظ "الرَّكبُ" على الخيل، ولذا فالرّكب الحجِّي هو كل وسيلة سفر من الدّواب الموصِلة صاحبها إلى مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحج[2].

2-اِصطلاحا:

هو القافلة الجامعة لأشخاص"رُكّاب" راحِلين برّاً، وأصلهم "رُكّاب"، ومستلزماتهم السائرة لأداء غرض معين الحج وهو كذلك جماعة الحجاج الذاهبين الى مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة راكبي الإبل وغيرها من الدوّاب، الذين يحملون معهم زادهم وأمتعتهم[3].وهناك من عرّفه بقوافل خاصة بالحج منظمة تنظيما دقيقا وفيها أناس متخصصون في كل ما يتعلق بالحج، من معرفة بالطريق ومراحله وأوقاته ومزودة بكل مطالب الحجاج[4].

---

[1]-محمد جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، د.طتح: عبد الله كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.سمادة ركب،ص1712.

[2]-أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518،1830)، أطروحة الدكتوراه، جامعة أدرار، الموسم الجامعي 2017-2018، ص18.

[3]- المرجع نفسه، ص23.

[4]- نفسه، ص25.

ثانيا: مفهوم الرّحلة

1- لُغةً :

تعني الارتحال والرّحلة، وهي الوجهة التي يقصدها ويريدها، يقال: "مكّة رحلتي"، أي وجهتي التي أريد أن ارتحل إليها[1]، ولقد أجمعت قواميس اللّغة العربية على أن الرحلة مشتقة من كلمة: يَرْحلُ، رحلا، رحيلا، تِرْحَالاً، وارْتحل القوم بمعنى انتقلوا، والرّاحِلةُ هي النّاقلة، أما الرُّحلة هي الجهة التي يقصدها المسافر[2].

2- اِصْطِلاحاً :

تعدّدت المفاهيم حول الرّحلة، لكن هناك إجماع على أنّ معناها هو الانتقال والارتحال من مكان إلى آخر، ومنها اشتُقّت كلمة "رَحّالٌ"، وهو الشخص الذي يقوم بالرحلة[3].وممّا يلاحظ أنّ مفهوم الرّحلة في اللّغة والاصطلاح يشتركان في معنى واحد وهو الحركة والتّنقل، لكن أدقّ تعريف هو السفر وقطع المسافات بِنيّةِ الانتقال من بلد لآخر لتحقيق هدف معين مادياً كان أو معنوياً[4].

وقد حثّ الإسلام على الرحلة والسياحة حيث وردت عدّة آيات بيّنات في هذا الخصوص، منها قوله تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذّين من قبل ، كان أكثرهم مشركين﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُرَاغَمًا كثيرًا وسَعَةً﴾[6].

---

[1] محمد مرتضى الحسين الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتّاح الحلو، ج29، دار التراث العربي، الكويت، 1997، ص60.

[2]– ابن منظور: المرجع نفسه، ص1005.

[3]–مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني، دار الانتشار العربي، لبنان، 2015، ص142.

[4] –عبد الله خضران الحارثي: الرحلة في طلب العلم عند لعض مربين المسلمين في العصر العباسي وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير في قيم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430.1431هـ، ص ص73–74.

[5]–سورة الرُّوم، الآية 46.

[6]–سورة النِّساء، الآية 100.

وقد عرَفتِ العرب الرِّحْلَة قبل الإسلام، فكانت رحلاتهم الشَّهيرة إلى الشّامِ صيفًا وإلى اليمنِ شتاءًا بغرض التجارة، وورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَفِ قريش، إِلفِهِمْ رحلة الشّتاء والصّيفِ﴾[1]، وقد دعا القرآن الكريم إلى الرحلة من أجل أداء فريضة الحجِّ إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، والذّي يعتبر الرّكن الخامس من أركان الإسلام، حيث قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ولِلّه على النّاسِ حجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً ﴾[2].

ثالثا– تعريف الرّحلة الحجازية

وهي الرّحلة الى بيت الله الحرام "البيت العتيق" لأداء فريضة الحج باعتبارها الرّكن الخامس من أركان الإسلام، لذا حرص المسلمون عامة والسودانيون خاصة على أداء مناسكه من خلال ما عرف بركب الحج السوداني الذي ونتيجة لضخامته وانفراده روى عنه وكتب وأرّخ له الكثير عبر كل العصور ولا يزال، مستجيبين وملبيّين بذلك لقوله تعالى: ﴿ وأذِّن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق ﴾[3].

المبحث الثالث: الحج السّوداني، دوافعه وطرقه

أولا: دوافع الحج السودان

1- الدافع الدّيني:

هو أن للدافع الديني مصاعب ومشقّة سفر رحلة الحج، فهو يهون ويقرّب المسافات، وكذلك التّشوق إلى أرض الحجاز، حيث بزغ الدين الإسلامي، وحيث المدينتان المقدستان: مكّة والمدينة المنوّرة، وهما مهوى أفئدة المسلمين، ومكان استكمال أركان الدّين بأداء مناسك الحج ومركز استقطاب روحي لكل مسلم لأداء فريضة الحج، تلبية لقوله تعالى : ﴿ وأذِّن في النّاس بالحج يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فج عميق﴾[4]، ولم يكن شوق السّفر إلى بلاد

[1]–سورة قريش، الآية 1–2.

[2]–سورة آل عمران، الآية 97.

[3]–سورة الحج، الآية 27.

[4]سورة الحج، الآية 26–27.

المشرق وبلاد الحجاز خاصة قاصرا على الحكام في إفريقيا الغربية، وإنما امتد إلى رعاياهم الذّين تكبّدوا تكاليف الرّحلة ومشاقها، وخاطروا بعبور صحاري منعدمة الأمن، من أجل أن تتوّج حياتهم بهذا الحدث العظيم.

ومثلما يفعل مسلمون كثر، كان بعض مسلمي غرب إفريقيا (مالي وفولتا العليا وغانا والنيجر والسنغال وغيرهم) يفضلون قضاء مابقي لهم من العمر في رِحاب المدينتين المقدسيتين: زوّارا وحجّاجا، ومجاورين، ودارسين، أو مدرّسين، وكان المسلمون الجدد في إفريقيا الغربية، يرون ارتفاع المكانة الاجتماعية لإخوانهم وأقاربهم، الذّين تيسّر لهم أداء فريضة الحج، فيُقدِمون على الرّحلة مندفعين لتحدّي مشاقها، فلقب الحاج يعد من أشهر الألقاب الدينية في العالم الإسلامي، نظرا لما تحمله رحلة الحج من مخزون إيماني ومعنوي في وجدان المسلمين، لكن هذا اللقب في مناطق غرب إفريقيا كان لدوافع أكبر من التّقديس والاحترام، لما يعانيه الحاج من الخطر والمشقّة، ولما حاز عليه من البركة والعلوم الشرعية[1].

2- الدّافع العلمي:

مع أن الجزء الأساسي من رحلة الحج كان كلّه وجدانيات دينية وتفقّها بالشرع، لكن، أحيانا كان أداء فريضة الحج يرتبط لدى البعض بمهام علمية أخرى، مثل: لقاء كبار المحدثين أو الفقهاء وسماع مروياتهم عن أشياخهم والأخذ عنهم والسعي لنيل إجازاتهم، وإلّا فالحصول على عدد من مؤلفاتهم[2] وغالبا ما كان يتولّى الحاج بعد عودته الإمامة في مسجد قريته أوحيِّه، وقد يُوَلّى القضاء إضافة إلى ذلك كلّه، تأتي فوائد التبادل التجاري والمعرفي، وتحصيل العلم في حواضر مدينته، ليس لها مثيل في غرب إفريقيا،ولهذا تعددت قوافل الحج التي كانت تخرج من إفريقيا الغربية، والتي كان على رأسها الملوك أو الحكّام في بعض الأحيان[3].

[1]– قاسم عبده، مسلمو غرب إفريقيا، دار عين للدراسات، القاهرة، 2015، ص87.

[2]– حماه الله ولد السّالم: "رحلات الحج من موريتانيا بلاد شنقيط "، المؤتمر الدّولي الأوّل، الرّحالة العرب والمسلمين، الدّوحة، 2010، ص30.

[3]– رجب محمد: المسلمون فيُ إفريقيا جنوبي الصّحراء، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، دار الرّسالة، بيروت، 2004، ص75.

3- الدافع الحضاري:

كان الشرق العربي الإسلامي في تلك الفترة مركز الثُّقل في العالم المسلم، ومستودع ميراث الحضارة العربية الإسلامية، ومجدها، ومحطِّ أنظار المسلمين جميعا، فكانت الحاجة ملحة للتعرف على النظم الحضارية الإسلامية السّائدة في المشرق العربي، وخاصة الإصلاح على ملامح الحركة التعليمية ومحاولة الأخذ بها في البلاد السودانية، علما بأن الانفتاح على التقاليد الإسلامية يلزمه أن يمر عبر الاطلّاع أولا على المعرفة الدينية، أي إدراك معظم العلوم المرتبطة بالشرع الإسلامي.

فلقد كانت القاهرة في تلك الفترة العاصمة الجاذبة للهجرة من كل أنحاء العالم المسلم بسبب ما كانت توفره من أمان وما تنعم به من ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي وقوة ومهابة على الصعيد الإقليمي والعالمي.

ثانيا: طرقه (المسالك والمحطّات):

عبر أزمان طويلة كانت قوافل الحج السوداني تنساب عن غرب إفريقيا نحو البيت العتيق، في رحلات قد تستغرق سنوات، وربما تأخذ من بعضهم العمر كلّه، هذه الرّحلة، وطرقها الطويلة أحدثت – ولقرون طويلة– آثارا، لن تمحى على المجتمعات التّي تنطلق منها، وكذلك على المجتمعات التي في طريقها عبر الشمال الإفريقي إلى أرض الحجاز، هذه الطرق الحيوية كانت أشبه بنهر بالحياة حاملا معه العادات والمعارف، وفوق ذلك كلّه شريعة الإسلام.

يذكر البكري بأن الملك "برمندانة"[1]كان أول من اعتنق الإسلام في السودان الغربي،[2] وقال المقريزي بأن واحدا من خلفائه، هو "موسى الأكوبي" قام بأداء فريضة الحج في عهد

---

[1]– برمندانة : ويسمى أيضا برمندان، وهو أول من اسلم من ملوك دولة مالي، وربما يعود سبب تسميته بهذا الاسم إلى القبيلة التي تُعدّ المؤسِّسة للدولة وهي قبيلة الماندنغو. للمزيد ينظر: محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، القاهرة، 1965، ص54.

[2]-البكري ابو عبد الله: المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتاب العالمية،2003، ص87.

السلطان"الظّاهر بيبرس". وقد حمل معظم الحكام الأوائل لتلك الممالك على أداء فريضة الحج، عبر الطريق البرّي المار بمصر التي كانت تحت حكم المماليك[1].

طريق شمال إفريقيا (أهميته):

يعد هذا الطريق الحيوي أشبه بنهر يتدفق بالحياة حاملا معه العادات والمعارف، وفوق ذلك كله شريعة الإسلام، ومع وجود طريق محتمل آخر يعبر وسط القارة نحو مدينة "برب"[2]. ومنها إلى ميناء"سواكن"[3]على البحر الأحمر، هذه الطريق على مخاطرها كانت تستخدم غالبا من قبل حجاج وسط إفريقيا والغرب الإفريقي الأوسط ومنطقة خليج غانا، حيث يجتمعون في عاصمة النيجر "نيامي،" ومنها إلى نجامينا في تشاد فا دارفور، ثم نحو سواكن على البحر الأحمر، وفي كثير من الأحيان، كانت قوافل حجاج وسط إفريقيا تسلك الطرق البرية العابرة للصحراء شمالا صوب طرابلس.

1- الرحلة عبر مصر:

عادة كانت قوافل شمال إفريقيا وغرب إفريقيا تصل إلى مصر حوالي شهر رمضان، فيتوقفون فيها الشهر كاملا، قبل أن يستأنفوا طريقهم نحو الحجاز، فتتابع قوافلهم من الإسكندرية إلى رشيد، حيث يأخذ الحجّاج المراكب النّيليّة، لتلتقي قافلة الحج المصري شمالي القاهرة عند بركة الحجّاج[4]، ومن هناك تواصل بعض القوافل مسيرها برّا حتى ميناء القلزم "السويس،"ومنها ما يواصل الطريق البري عبر سيناء بمحاذاة البحر الأحمر إلى مدينة جدّة ومنهم – أيضا – من يبحر في السفن إليها،ولكن هذا الطريق توقّف معظم زمن الحروب الصّليبية، حيث لجأ الحجّاج إلى

[1] – المقريزي تقي الدّين: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،1955، ص148.

[2]بربر: مدينة تقع شمال جمهورية السودان، ازدهرت في العصور الوسطى، ولعبت دورا حيويا كمحطة على طريق قوافل الحج القادمة من قلب إفريقيا.

[3]-سواكن: مدينة تقع في شمال شرق السودان الحالي، على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتشير الأساطير إلى أنها أخذت اسمها من كلمة "سواجن" التي تشير إلى كلمة "سجن،" من تقييد النّبي سليمان للجن وسجنهم في هذه الجزيرة البحرية.

[4]– بركة الحاج: قامت مكانها – الآن – القرية المعروفة باسم " البُركة " وهي إحدى قرى شبين القناطر محافظة القليوبية.

طريق آخر، فكانوا يقلعون في نهر النّيل صعودا إلى "قوص،" ومنها يتابعون نحو "عيذاب،"[1] على ظهور الإبل عبر صحراء مقفرة، وكان أصحاب الجاه والثّراء يركبون " الشقاديف"[2].

يذكر أن "منسى موسى بن أبي بكر التكروري"[3]خرج من بلاده للحج سنة 724هـ/1324م متتبعا الطريق الصحراوي للوصول لمصر ومتجنبا في الوقت ذاته الطريق السّاحلي الذي قتل فيه قبل 24 عاما حاكم مالي "ساكورا"،[4]فتحركت قافلة منسى موسى من العاصمة المالية "نياني Niani "[5] مارا بمدينة "تنكبتو Tinbuktu"[6] حتى قيل أنّ نهاية القافلة في تنبكتو وبدايتها في العاصمة نياني، وبعدها تحركت بداية القافلة نحو مدينة "ولّاتة Wellata"[7]، ومنها نحو مدينة "غْدامس Ghadamès"[8] ليسلك بعدها الطّريق الصحراويوصولا إلى أهرامات الجيزة، ويؤكد

---

[1]– وصف ابن جبير، تفاصيل هذا الطريق في رحلته المشهورة، ص89، ويقول المقريزي" إنّ حجاج مصر والمغرب أقاوم زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلّا من صحراء "عيذاب" المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ص2–16.

[2]– الشقاديف: مقاعد خشبية يوضع كل إثنين منها على راحلة، ويكون عليها مظلة، فيكون الرّاكب مع عديله في وقاية من الشّمس خصوصا في أيام الصّيف.

[3] -منسى : وهو لقب من الألقاب التي اتخذها سلاطين السودان الغربي وتعني الحاكم عند الماندنجو، وفي البداية كان لقب رئيس القرية ثم توسع. للمزيد أنظر: دريد عبد القادر نوري، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 5–10هـ / 11–16م،جامعة الموصل:1985، ص299.

[4]– ساكورا: هو أحد أهم حكام مملكة مالي الإسلامية، لكنه لا ينتمي إلى الأسرة الحاكمة، وعدّه البعض مغتصبا للحكم.

[5] – نياني : هي قرية في غينيا العليا ظن في محافظة كانكان في غينيا، غالبا ما تعتبر نياني عاصمة ومقر إقامة إمبراطورية مالي في القرن 13 و14م.

[6] – تنبكتو: هي من أهم العواصم الإسلامية في غرب إفريقيا "تقع في شمال مالي حاليا" في تكتب بصيغ مختلفة، مثل تمبكتو أو تنبكت أو تمبكت، لكن المعنى واحد، حيث يجمع المؤرخون على إن أصل معناها يعود لاسم أطلق على إمرأة من الطوارق اسمها "تن بكتاون" أي حافظة الأمانات، كانت ترابط على بئر في الموقع الذي تأسست عليه المدينة فيما بعد.

[7]– ولّاتة: أو"ولاتا"، تقع على حافة الهضبة الكبرى في أقصى شرق موريتانيا، وهي أقدم مدنها، كانت أكثر حاضرة علمية ازدهاراً في غرب الصحراء، ومحطة تجارية نشطة، وقد ذكرها ابن بطوطة باسم "إيوالاتن" وابن خلدون باسم "ولاتن". ووصف هذا الأخير دورها التجاري في إمبراطورية مالي، وقال "إنها على التّخوم الشمالية لمالي في حدوده مع المغرب الأقصى". للمزيد أنظر البرتلي الولاتي" أقدم رحلة شنقيطية"، ص13.

[8]– غدامس: مدينة ليبية، ويقول عنها ابن خلدون : "ردامس" وكانت تسمى قديما "سيداموس" وهي مدينة بربرية قديمة لا يعرف تاريخ تأسيسها بالتحديد.

ابن خلدونسلوك رحلة منسى موسى للطريق الصحراوي بقوله: "ولمّا خرج منسى موسى من بلاد المغرب للحج سلك طريق صحراوي"[1]، وبحسب الدّالي فان موكب حج أسقيا محمد هو الآخر شقّ طريقه" عبر الأراضي اللّيبية، مرورا بمدينة غدامس، وطرابلس، والمنطقة الشرقية من ليبيا إلى أن دخل الأراضي المصرية مرورا بالإسكندرية، والقاهرة إلى الأراضي المقدسة،وهو الخط المعتاد نفسه الذي سلكه الملك الرّاحل منسى موسى ملك مالي"[2].

وتتأتّى لنا من المعلومات المتوفرة عن حج السلطان موسى منسى أن الطريق التي تأخذها الرحلة الحجية المالية مغايرة لتلك التي تأخذها في أثناء العودة، فقد انطلق الموكب الحجّي لمنسى موسى من نياني العاصمة ثم ميمة، فولاتة، وتغازة، توات، وغدامس، وطرابلس والإسكندرية، وأخيرا القاهرة حيث خرج الموكب المالي ضمن الركب المصري الى مكّة، أما طريق العودة فكانت من القاهرة إلى غدامس ثم كوكو، فتنبكت ومنها إلى العاصمة نياني، ويؤكد ابن خلدون أنه لقي بالقاهرة أواخر القرن الثّامن الهجري الشيخ عثمان فقيه أهل غانة وكبيرهم علما ودينا[3].

وبذلك فان مسار رحلة الحج السوداني من إفريقيا الغربية عبر التاريخ –إلى جانب الهند – عُدّت الأبعد والأخطر على الإطلاق كونها جمعت بين كل أنواع المسارات الطبيعية البرية الصحراوية والساحلية، والنهرية عبر المراكب النيلية ثم البحرية لبلوغ جدّة عبر البحر الأحمر.

المبحث الرّابع: شيوخ ركب الحج السّوداني

لقد شكلت الأهمية والتشجيع والرعاية التي أولاها سلاطين السودان الغربي بتنظيم الرحلات الحجية عامل استقطاب وشغف للعلماء والفقهاء وكذا الطلاب في ديار السودان الغربي

[1] -محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تح: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون 2014م، بيروت، ص33.

[2] - الهادي المبروك الدّالي: المرجع السابق، ص126.

[3] – ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت،1979 ،ص932.

قاطبة للنهل من علوم المشرق وأداء فريضة الحج، خاصة بعد رحلة الأسقيا محمد الكبير التي تلاها رحلات لعلماء من بلاد السودان الغربي لبلاد الحجاز، ومن بين أهم هؤلاء العلماء:

أولا: الفقيه القاضي محمود بن عمر آقيت (ت955هـ/1548م):

وهو أحد فقهاء تنبكتو وعلمائها وصلحائها، قال عنه أحمد بابا التنبكتي " ... قاضيها أبو الثناء وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا منازع، وكان من خيار عباد الله الصالحين، اشتهر بعلمه وصلاحه في البلاد وصار صيته في الأقطار شرقا وغربا، فظهر ورعه وصلاحه وعدله في القضاء ... لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين ويزورونه في بيته فلا يقوم إليهم ولا يلتفت إليهم ويهادونه بالهدايا والتحف، تولّى القضاء عام 904هـ، فشدّد في الأمور وسدّد"[1].

ويتضح من كلام التنبكتي المكانة العلمية التي احتلها هذا الفقيه في بلاده ومدى ورعه وصلاحه ومما أهّله لتولي خطة القضاء، سافر في رحلة الحج سنة (915هـ/1509م)،

[1]أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق، عبد الحميد عبد الله الهوامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000، ط 2، ص47.

حيث التقى في مصر وبلاد الحرمين مجموعة من العلماء نذكر منهم، والشيخ زكريا[1]والقلقشندي وناصر الدّين اللقاني[2].

ثانيا: الفقيه القاضي بن محمود أقيت (ت 991هـ/1583م)

وهو ابن الفقيه محمود بن عمر، كان من فقهاء تنبكتو وزهادها. قال عنه أحمد بابا:" بأنه كان مسدّدا في أحكامه صلباً في الحق ثابتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم قوي القلب مقداما في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره،"[3] تولّى قضاء تنبكتو فاشتهر بعدله وانصافه، كانت له رحلة حجية حيث لقي مجموعة من العلماء منهم الناصر اللقاني وأبا حسن محمد البكري[4]، فأجازه اللقاني في كثير من العلوم. وكذلك الفقيه أحمد أقيت (ت991/1583م) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت والد أحمد بابا التنبكتي، وقال عنه "كان رحمه الله تعالى فهامة ذكيا داركا محصلا محدثا أصوليا منطقيا، وكان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك ويزورونه في داره"[5] ويبين هذا المكانة التي احتلها هذا الفقيه في بلاده نظراً للمكانة العلمية التي اشتهر بها، كانت له رحلة حجية سنة 956هـ/1549م، حيث زار خلالها المدينة ومكة ومصر،

---

[1]– الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي قاضي ومفسّر من حفّاظ الحديث، ولد في مصر سنة 823هـ/1420م، تعلّم في مصر وتولى فيه القضاء مدة من الزمن وله مصنفات عديدة منها: فتح الرحمن وتحفة الباري على صحيح البخاري وفتح الجليل وغيرها، توفي بالقاهرة سنة 924هـ/1520م. أنظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986،ص80.

[2]– اللقاني هو محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن ناصر الدين اللقاني ولد بقرية لقانة المصرية سنة 873هـ/1478م، وهو فقيه أصولي ومن آثاره: حاشية على شرح الجوامع في أصول الفقه، أنظر: أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص337.

[3]– أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ص180.

[4]– محمد البكري هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الحق أبو الخالق أبو الحسن البكري، ولد بالقاهرة سنة 899هـ/1493. وهو مفسر ومتصوف من علماء الشافعية كان يقيم عاما بمصر وعاما بمكة، ومن أهم مؤلفاته: تسهيل السبيل في تفسير القرآن، وسمي تفسير البكري، شرح منهاج وتحفة واهب المواهب في بيان المقامات وغيرها من الكتب، توفي بالقاهرة سنة 952هـ/1545م. انظر خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص 203/7.

[5]– أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق ص93.

فالتقى بمشاهير العلماء منهم الشيخ الناصر اللقاني والشريف يوسف الأرموني تلميذ السيوطي، وجمال الدين بن الشيخ زكريا [1] والشيخ التاجوري[2] والأجهوري[3] والتقى بمكّة والمدينة عبد المعطي السخاوي[4]وعبد العزيز اللمطي[5]وعبد القادر الفاكهاني[6] واستفاد منهم جميعا.

ثالثا: محمد بغيغ محمد البغيغ (ت1002هـ/1593م):

أحد أعلام تنبكتو وقضاتها، وهو ابن الفقيه محمود بغيغ الذي تولى قضاء جنّي، ويعتبر محمد بغيغ أحد شيوخ أحمد بابا التنبكتي كان رحمه الله عالما محقّقا ذكيا فطنا حاضر الجواب سريع الإدراك[7]، وهو من العلماء المتعدد التخصص، تتلمذ على يد والده محمود بغيغ، رحل الى الحج والتقى بمصر الكثير من العلماء منهم الشريف البرهموثي الحنفي والإمام محمد البكري وغيرهم فاستفاد وأفاد[8].

---

[1]– جمال الدين بن الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، من أهل مصر نبغ في العلم والفقه واللغة كان حيا سنة 956هـ. أنظر: المصدر نفسه، ص93.

[2]– عبد الرحمن التاجوري أبوزيد ت 999هـ/1590 م، سمي بالتاجوري نسبة الى تاجور أحد مدن ليبيا، وهي من أعمال طرابلس كان فقيها نحو يا وبليغا، رحل إلى مصر ومكث هناك للتدريس. أنظر الفانوس عمار سالم، دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي، رسالة ماجستير، كلية الفنون، جامعة بغداد، 2002، ص179.

[3] عبد الرحمن بن محمد الأجهوري المالكي زين الدين ت961هـ/1553م، عالم فقيه قرأ على يد شهاب الدين القطلاني وشمس الدين اللقاني وغيرهم، أجيز بالإفتاء والتدريس فأفتي وصنّف. توفي في القاهرة وبها دفن، من تصانيفه شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي. أنظر: زمان عبيد وناس، المرجع السابق ص203.

[4]– عبد المعطي أحمد بن أحمد السخاوي المدني ت960هـ/1552م، الفقيه العالم المصنف الجامع له عدّة تأليف منها تفسير القرآن سمّاه: الفتح المجيد في ستة أجزاء، له تاريخ المدينة، وشرح الشامل. أنظر: المصدرنفسه، ص188.

[5]– عبد العزيز اللمطي ت 880هـ/1475م المكناسي المالكي فقيه نحو ي من أهل فاس، نزل المدينة المنورة له ألفية في النحو وشرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي. أنظر: الزركلي، المصدر السابق، ص 21

[6]– عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهاني المكّي ت 989هـ/1581 م، عالم فقيه ببرع في كثير من العلوم نذكر منها منهج القاضي زكريا، وشرح قصيدة الصفي، وكتاب في فضائل شيخه ابن حجر الهيثمي، ومناهج الأخلاق السنيّة. أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة وكالة المعارف، اسطنبول تركيا، 1941، بط، مج 4. ص845.

[7]– أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، 603.

[8] - أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ص 603

رابعا: الفقيه محمد ابن أحمد التازختي (ت 936هـ / 1538 م):

كان عالما متفنّنا محقّقا ثاقب الذّهن جيد الخط سريع الفهم والإدراك، أخذ العلم عن الفقيه الحاج أحمد بن عمر أقيت، رحل الى تكدّة وبها التقى بالإمام المغيلي وحضر دروسه، ثم سافر في رحلة حجّية مع قاضي الجماعة محمود بن عمر،[1] فلقي مجموعة من العلماء الأجلّاء كشيخ الإسلام زكريا القلقشندي والبرهانيين وابن الشريف، وحضر دروس الأخوين" شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللقاني، "كما أجازه في مكّة أبو البركات النويري وأبو الطيب السبتي وغيرهم.

خامسا: الفقيه أبو بكر بن احمد بن محمد أقيت 5 991 هـ / 1583 م)

وهو أحد فقهاء تنبكتو وصُلّاحِها ذهب للحج ثم عاد، ولكنه اشتاق إلى مجاورة النبي فأخذ أسرته إلى هناك ليكمل بقية حياته في الحجاز منشغلا بين مكّة والمدينة طالباً للعلم حتى وفّاه الأجل ودفن بالبقيع[2].

خاتمة الفصل:

نستخلص في الأخير أن الرحلات الحجية لها أهمية بالغة عند المسلمين، وقد دعى القرءان الكريم إلى الرحلة من أجل أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا، ولذا حرص حكام السودان الغربي على الإشراف على أداء هذه الفريضة، وكان ذلك سبب في الإزدهار الذي عرفته المنطقة في هذه الفترة التاريخية.

[1]– السعدي عبد الرحمن بن عبد بن عمران السعدي، دراسة وتحليل، عبد المنعم ضيفي عثمان، دار الرشاد، القاهرة، 2010، ص 51.

[2]– السعدي المصدر نفسه، ص41.

الفصل الثاني أبرز الرّحلات الحجّية السّودانية

المبحث الأول: رحلة منسى موسى 724هـ-1324م

المبحث الثاني: الرحلة الحجية للأسقيا الحاج محمد الكبير 902هـ-1496م

المبحث الثالث: رحلة البرتلي الولاتي (1204هـ-1206هـ/1789م-1791م)

نظرا لـ ÀÃ¶ÀÁÈ ووعورة طرقها، تناولنا في هذا الفصل ثلاث رحلات حجية شهيرة هي رحلة منسى موسى وكذا رحلة الأسقيا الحاج محمد الكبير ثم رحلة البرتلي الولاتي، فما هي أهم طرق الرحلات الحجية السودانية؟، وما هي أهم الأحداث التي عرفناها وأسباب شهرتها؟

المبحث الأول: رحلة منسى موسى724هـ-1324م:

يعد منسى موسى من أهم وأشهر ملوك دولة مالي وتعد رحلته الحجية من أشهر الرحلات نظراً لفخامتها وضخامتها وهو ما جلب الأنظار للدولة مالي من العالم الإسلامي والأوروبي وخاصة بروز عناها من معدن الذهب[1]، ويترجح منسى موسى علماً تاريخيا في تاريخ مالي وبلاد السودان الغربي حيث ورد ذكره في العديد من المصادر الإسلامية بل حتى الأوروبية وهو مايعني أن صدى رحلته الحجية تجاوز حدود دار الإسلام حيث يقول فرناند أساس الرخاء شمال إفريقية والأندلس فهذا الذهب لعب دوره في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط كله، حيث بدا تداول هذا الذهب من القرن 14 عقب الحج الشهير لملك مالي منسى موسى[2].

ويتمثل السبب الرئيسي للرحلة الحجية لمنسى موسى هو قتل أمه "نانا كنك"خطأ فندم على ذلك وتأسف فتصدق جمال كبير وعزم على صوم الدهر تكفيراً عن هذا الخطأ. فسأل بعض العلماء عما يفعل للاستغفار من هذا الذنب العظيم فأفتوه بأنه يذهب للحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم والدخول في حرمته والاستمتاع به، فعقد العزم وقرر التحضير للمرحلة وجمع الأموال وطلب من ببعض شيوخ زمانه اختيار يوم الخروج فأفتوه بيوم السبت الذي يكون ثاني عشر فأخرج فيه لا تمت حتى ترجع لدارك سالما إن شاء الله[3].

---

[1] صباح إبراهيم الشيخلي: "أثر رحلات الحج في نشوء الوظائف والمؤسسات الإدارية وتطورها في بلاد السودان الغربي"، اللجنة العلمية لمؤتمر طرق الحج في إفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، 2016، ص9.

[2] – مقال، "دوري العلاقات الإفريقية المصرية على ضوء رحلة السلطان منسى موسى إلى الديار المقدسة سنة 1324م" مجلة البيان، العدد 29،418، ماي 2022، ص3.

[3] – محمود كعت: المصدر السابق، ص120.

وبعد التحضير للرحلة من كافة الجوانب وعدد المرافقين خلف منسى موسى ابنه منسى مغا الثاني في حكم البلاد أي حين عودته[1].

كانت انطلاقة الرحلة في أواخر عام 723هـ-1324م واستمرت سبعة أشهر إلى أن وصل إلى مصر في عام 724هـ-1324م، وعبر موسى الطريق الصحراوي ماراً بولاته[2]وتوات[3] وورقلة[4]وسرت الأندلس وأكمل مسيره حتى وصل إلى الإسكندرية باتجاه القاهرة.

تختلف المصادر حول عدد أفراد ركب حج منسى موسى ودارت حكايات إلى درجة المبالغة حول عدد أفرادها مابين 60 ألف في تقدير المكثر وخمسة عشرة ألف في تقدير المقل، فذكر المقريزي أن خمسة عشرة ألف جارية صحبن الملك الشاب في رحلته الحجازية، كذلك ذكر ابن خلدون أن عدد من حملوا أمتعة الملك وحاشية كانوا إثني عشر ألف حمّال يلبسون أقبية الديباج والحرير اليماني.أما تقديرات المؤرخين المشارقة فقد ذكر اليافعي (ت 768هـ-1366م) أن عدد الركب السوداني قدر بخمسة عشر ألف حاج بينما أثار ابن كثير (ت 774هـ-1372م) إلى أن ركب الرحلة بلغ عشرين ألف ويذكر ابن فهد (ت عام 885م-1481م) أن العدد وصل خمسة عشر ألف[5].

أما المؤرخون السودانيون فلم يتفقوا مع الأرقام التي طرحتها المصادر الشرقية حول عدد ركب حج منسى موسى، فمحمود كعت (ت 1002هـ/1993م) قدر العدد بثمانية

---

[1]- منسى مغا الأول كان ولي العهد خلال وجود والده في مكة وبعد وفاة منسى موسى خلفه وتولي أمور البلاد من 738-742هـ/1337-1341م، كان ضعيف الشخصية وعديم الخبرة وفي عهده حدثت اضطرابات وبدأ الضعف يدب فيها وذلك لكثرة الفتن الداخلية وعدم الولاء للسلطان فانتشل البلاد من الغوص عمه منسى سليمان الذي عمل على إصلاح ما أفسده وشجع العلم والعلماء، أنظر الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص63.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، ص234.

[3]-عفيف الدين أبي السعادات اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب العلمية بيروت ،1997، ص204.

[4]-ابن كثير: البداية والنهاية تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1998، ج18، ص240.

[5]- عمر بن محمد بن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القري، ج3، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، سنة 1403هـ، ص178.

ألف[1] وأشار إلى أن الركب خرج من العاصمة نياني إلى تنبكت وخرج منسى بعدما وصل رأس قافلته تنبكتو تعد مبالغة كبيرة جداً فالمسافة بين تنبكت ونياني تبلغ 965 كلم[2].

أما عدد رفقاء منسى موسى عند المؤرخ السعدي (ت1067هـ-1656م) قدره بـ : ستين ألف[3]. بالنظر للعددين من الروايات حول عدد الركب وإشهادا إلى روايات المؤرخين المعاصرين وإشهاداً إلى ما ورده اليافسي[4]وابن فهد[5] حول الحادث الذي وقع عند الكعبة بوقوع تشاجر بين الحجاج المرافقين للمنسى وعددهم خمسة عشر ألف وبين أتباع أبي سعيد بن خربندا[6]، وظهرت في هذه الفتة السوق في المسجد الحرام، فقام منسى موسى بتهنئة أصحابه، وأمرهم بالكف عن القتال، وهذه الرواية ترجّح العدد خمسة عشر ألف حاج سوداني رافق منسى موسى تقريبا بعكس شهادات المؤرخين السودانيين الذين دونوا أخبار الرحلة بعد مضي أكثر من قرنين من الزمان هذا بالإضافة إلى التقارب الشديد والفارق الكبير جدا بين تقدير عدد كبير بين 8 ألاف حاج عند كعت وستين ألف عند السعدي الذي تأثر بالرواية المحلية التي اعتادت تضخيم الأحداث المهمة، إذ يستحيل عبور مثل هذا العدد في الصحراء في ركب واحد لعدم وجود ما يكفي من الماء فضلا عن أن الفترة الزمنية بين حج منسى موسى وتدوين السعدي للكتابة تتجاوز ثلاث قرون[7].

لقد اتبع الركب السوداني الطريق الصحراوي وهذا لكونه أفضل أمنا مقارنة بالطريق الساحلي، بالإضافة إلى ضخامة القافلة وتجنبها للهجمات من طرف قطاع الطرق وعند وصول القافلة إلى ولاته انضم لركب حج منسى موسى حجاج تلك المدينة ليلاقوا الركب المتوجه نحو القاهرة

---

[1]-محمود كعت: المصدر السابق، ص121.

[2] - نفسه، ص121.

[3] - السعدي: المصدر السابق، ص7.

[4]- عفيف الدين أبي السعادات اليافعي: المرجع السابق، ج 4، ص 204.

[5]-عمر بن محمد بن فهد: المصدر السابق، ج 3 ،ص179.

[6] -هو أبو سعيد بن خربندا بن ارغون بن أبغابن هولاكو. أحد ولاة الدولة الايطالية أو دولة مغول فارس ولي الحكم نحو عشرين سنة (716-736) وكان من أحسن ملوك التتار، للمزيد أنظر بن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد لمهنة 1349هـ، ص34.

[7]- بطل شعبان محمد غرباني: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، جامعة بني سويف، مج 05، ع 09 أكتوبر، ص151.

للالتحاق بركب الحج المصري، أراد منسى موسى أن يظهر لحكام مصر المماليك التزامه الديني إذ رفض تقبيل الأرض بين يدي السلطان المملوكي في مصر والسجود له قائلا: أنا أسجد لله وحده" مما يدل على قوة الإيمان وترك العادات القديمة"[1].

وخلال التواجد في القاهرة ويذكر المقريزي أن منسى موسى جلب معه هدايا جليلة وذهب كثيراً، فأرسل السلطان الملك الناصر مهدا بن قلاوون المهمندار أميره أبا العباس شهاب الدين أحمد بن علي الحاكي لاستقباله وركب به الى القلعة في يوم الخدمة فأمتنع أن يقبل الأرض، وقال للترجمان أنا مالكي المذهب ولا أسجد لغير الله فأعفاه السلطان من ذلك وقربه وأكرمه وسأله عن مجيئه، فقال: أردت الحج فأمر الوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه[2].

أقام منسى موسى في قصر عند القرافة الكبرى بالقاهرة، حيث أهدى إلى الخزانة السلطانية حملا من الذهب منهم من قدره بحوالي أربعين ألف مثقال وإلى نائب السلطان 10 ألاف مثقال[3] وتصدق بذهب كبير،حيث وصل الذهب الذي حمله معه منسى موسى حسب ابن خلدون مائة حمل من التِّبر في كل حمل ثلاثة قناطير[4] وتحدث المهمندار عن كرم منسى موسى بأنه أفاض على أهل مصر فقال بشأن ذلك: قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة وخليفة سلطانية إلا وبعث إليه الذهب[5] مما جعل سوق الذهب يختفي في مصر، وفي مصر صرح منسى موسى بأنه المدافع الأكبر عن الإسلام وأنه يحارب الكفرة الوثنيين في جنوب بلاده[6].

مكث منسى موسى بالقاهرة حتى موعد الحج، وكان قد التقى بعدد كبير من فقهاء المالكية ودار بينهم كثير من النقاش في الفقه ومسائله، وكان ممن التقى بهم مدرس المالكية

---

[1]– أحمد بن يحي بن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، تح وتع: مصطفى أبوضيف أحمد، الرباط، 1988، ص72.

[2]– المقريزي: المصدر السابق، ص112.

[3]–اليافعي: المصدر السابق، ص178.

[4]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص134.

[5]– فايد سفيان: "مملكة مالي في عهد الملك منسى موسى"، مجلة دراسات إفريقية بالجزائر، ع3، جامعة الجزائر2 أبوقاسم سعد الله، 7 ماي 2019 ، ص158.

[6]– محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص84.

في مصر القاضي محمد بن ثعلب المصري الذي ألف شرحا لمختصر أبي الحسن الطليطلي (341هـ-953م) بأمر من منسى موسى[1]،كما التقى بالقاضي شريف الدين أبي الروح عيسى الزواوي (ت 743هـ/1343هـ)، وقد أشاد الكثير من الأمراء بطيبة منسى موسى وحسن أخلاقه، وبوصول موسم الحج توجه مع ركبه إلى الحجاز وأدى فريضة الحج وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين كما زار المدينة المنورة وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم،[2] وتصدق على الحجاج وأهل الحرمين بمال كثير ووافر يقدر عشرين ألف مثقال من الذهب[3] وعند انتهائه من الحج اصطحب معه من مكة أربعة أشراف من قريش مع عائلتهم ليستقروا في مالي، وفي طريقه كلفته العودة إلى مصر جهداً كبيرا فقد هلك الكثير من أصحابه وجماله بالبرد، حتى لم يصل معه إلى مصر إلا نحو الثلث منهم،[4] كما ساءت أحوال ركب الحجاج خصوصاً بعد نفاذ أموال منسى موسى بسبب الحادثة التي تعرضت لها قافلته وهو في طريق عودته من الحجاز ويذكر ابن خلدون "ذلك أنه ضَلَّ الطريق عن المحمل والركب،وانفرد بقومه عن العرب وهي كلها مجاهل لهم فلم يهتدوا إلى عمران، ولا وقفوا على مورد، وساروا على السمث إلى أن نفذوا عند السويس"[5].

وعلى إثر هذه الحادثة التي تعرض لها ركب الحجيج لمنسى موسى جعله يبيع القصر الذي منحه أياه السلطان محمد قلاوون بالإضافة إلى الاستدانة من أحد التجار المصريين ليحافظ على سمعته، وقد رافقه التاجر المصري إلى مالي ليتقاضى دينه، كما اشترى موسى العديد من الكتب الإسلامية وخاصة في الفقه المالكي[6].

سلك منسى موسى في طريق عودته طريق القوافل الشرقي الذي يمر عبر برقة ثم طرابلس وغدامس حتى وصل إلى جاو عام(725هـ/1325م)[7]والتقى في غدامس بالفقيه أبي

---

[1]– ابن فضل الله العمري: المصدر سابق ص74.

[2]–السعدي: تاريخ السودان، المصدر السابق، ص7.

[3]–نفسه، ص7.

[4]– المقريزي: المصدر السابق، ص143.

[5]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص515.

[6]– ابن بطوطة: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "رحلة ابن بطوطة"، دار صادر بيروت، ص694.

[7]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقية، مكتبة نهضة الرفق القاهرة، د. ت،ص100.

عبد الله الكومي الموحدي الغدامسي الذي طور بناء جامعة سنكري،[1]بالإضافة إلى المهندس والشاعر الأندلسي أبو إسحاق الساحلي الطويجن[2] الذي أصبح مستشاره وكان له جهد كبير في ازدهار الحركة العمرانية في مالي حيث بنى قصراً لمنسى موسى، كما نسب إليه بناء مساجد كل من مديني تنبكت وجاو[3]، فكانت للرحلة نتائج إيجابية في مختلف المجالات بالإضافة إلى نتائج سلبية كانت مع دخول منسى موسى إلى القاهرة فقد شاهده تجار من البندقية وشاهدوا موكبه الفاخر متعجبين به الأمر، الذي دفعهم برسم منسى موسى وهو يجلس على كرسي من الذهب وفي يده عصا من ذهب وحوله الخدم وفي أيديهم أعواد من السعف التي تدفع الرياح للسلطان وهي من ذهب،وأرسلوا تلك الرسوم إلى روما ليراها البابا، وهو الأمر الذي جعل الأوروبيين ينتبهون إلى ثروات السودان الغربي وربما كان هذا سبباً لاكتشاف المنطقة ثم احتلالها بداية من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي[4].

ومن جانب آخر تنبه المسلمون للغرب الإسلامي وللذهب الموجود في مالي، الأمر الذي دفع الكثيرين إلى الاعتقاد إن رحلة ابن بطوطة إلى الدول الإسلامية في القرن الثامن للهجري والرابع عشر ميلادي كانت تجسسيه بدفع من السلطان المغربي للتعرف على خيرات تلك البلاد وهو ما حصل بهجوم الدولة السعدية على السودان الغربي واحتلاله[5].

المبحث الثاني: الرحلة الحجية للأسقيا الحاج محمد الكبير 902هـ –1496م

تعد هذه الرحلة الثانية من حيث الضخامة والشهرة بعدة رحلة منسى موسى، حيث بعد وصول الأسقيا الحاج محمد[6] سنة 890هـ –1480م لسدّة الحكم بدأ في توطيد أركان

---

[1]– عابد سفيان: المرجع السابق ص 160

[2]–الهادي المبروك الدّالي: المرجع السابق، ص62.

[3]– نفسه، ص62.

[4]– بشار أكرم جميل: "رحلة حج السلطان موسى بن أبي بكر التكروري، 724–1324"، مجلة أداب الرافدين، 79، 2019، ص454.

[5]–نفسه، ص455.

[6]– الأسقيا الحاج محمد الكبير من أعظم الحكام والسلاطين في تاريخ غرب إفريقية جنوب الصحراء دام حكمه (899هـ–935هـ/ 1993م –1528م) ويعد مؤسس حكم الأساقي بسنغاي ولقب أسقيا يعني لغة سنغاي: لا تكون أيا أي لا تكون ملك، وأطلق عليه هذا الاسم بنات "سني علي" لما انهزم شقيقهن شي بار علي على يد الأسقيا محمد وقولهن أسقيا"أشقيا" وسمع الأسقيا بمقولتهن فأصر على أن يكون ذلك لقباً له كتحد لهنّ، وكان الحاج محمد محباً

دولته، وذلك في فتح الأقاليم الوثنية، ونشر الاستقرار في أرجاء مملكة صنغاي، وأنشأ مدن ومقاطعات معينة عليها حكاما وأنشأ جيشا وأسطولاً دائمين، واهتم بالقضاء ونصب القضاة في المدن الكبرى والمراكز واهتم برعاية العلم والعلماء وشجع على ازدهار اقتصاد مملكته، ثم بعدها بدأ في التحضير للخروج لأداء فريضة الحج[1]، ويقول محمد كعت:"ونادى في أرضه من كل جانب يطلب الزاد والعون"[2]،

وقد اصطحب معه في رحلته العلماء والفقهاء إضافة إلى الجنود والعبيد والأمراء والحكام والدواب المحملة بالذهب وكان يستأذن أمير كل بلاد ليمر منها بدخول ثم ينفق بسخاء[3]، وتشير المصادر أن عدد الجنود الذين صاحبوا الأسقيا محمد الكبير بألف وخمسمائة جندي وثمانمائة من العبيد وكان معه ابن الأسقيا موسى وعدد من أمراء النواحي والعلماء والقضاة والمؤرخ محمد التمبكتي[4].

كما حمل معه ثلاث مئة ألف مثقال من الذهب الخالص أخذها من كنوز منسى موسى التي تركها وقد تصدق الأسقيا على فقراء مكة مئة ألف دينار واشترى بيوتاً وحبسها على الفقراء والمساكين والحجاج القادمين من بلاد السودان الغربي[5]. وقد أكرمه شريف مكة مولاي العباس وألبسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء وأعطاه سيفاً وأشهد الحاضرين بأنه هو خليفته بأرض التكرور وأن كل من خالفه في تلك الأرض فقد خالف الله سبحانه وتعالى ورسوله[6].

للعلم والعلماء وبنى المساجد والمراكز التعليمية. للمزيد أنظر: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص110-111. ورواية نون أسقيا بالمغتصب للسلطة أوالمتولي فسرا بقوة السلاح، أنظر المختار في تاريخ الفتاش لمحمود كعت، تقديم ودراسة عبد النعيم ضيفي، عثمان دار العلوم للنشر والتوزيع، ط 2005، ص22.

[1]– مقاديم عبد الحميد، عبد المجيد بن نعيمة: "رحلات حج سلاطين السودان الغربي وأثرها الحضاري"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، مج 13، ع01، جوان 2018، ص114.

[2]– محمود كعت: المصدر السابق، ص16.

[3]–محمود كعت: المصدر السابق، ص72.

[4] –السعدي: تاريخ السودان، المصدر السابق ص65.

[5]-السعدي، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص72.

[6] –محمود كعت: المصدر السابق، ص25.

وبعد تهيئ الأسقيا الحاج محمد للرجوع مر بمصر والتقى بالشيخ عبد الرحمان جلال الدين السيوطي[1]، فسأله الأسقيا عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم سيكونون بعده، فقال الشيخ هم اثنا عشر:خمسة منهم بالمدينة، واثنان منهم بمصر وواحد بشام واثنان بالعراق، وقد مضى هؤلاء كلهم وبقي إثنان بأرض التكرور، أنت أحدهما ويأتي بعدك الثاني[2]،وقد قدم له نصائح وأفتاه في أمور الدين ويقول في ذلك محمد كعت "ثم لقي كثير من العلماء والصالحين منهم جلال الدين السّيوطي وسألهم عن أشياء في أمور الدين فأفتوه فيها[3]، وفي طريق عودته كذلك مر على مدينة تجدا غرب الأيار حيث يقيم العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي[4]، وقد دعاه الأسقيا إلى مدينة جاو، وكان المغيلي من العلماء الذين اعتمد عليهم الأسقيا في مجال الفتوى، ويبرز لنا ذلك المؤلف المسمى ب:" أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي".

ويمكن القول أن هذه الرحلة الحجية أعطت الشرعية لحكم الأسقيا وهو ما كان يسعى إليه، كما أن هذه الرحلة ربطت دولة صنغاي بالعالم الإسلامي وخاصة مصر وبلاد الحرمين، حيث عرفت فترة حكمه البعثات العلمية من وإلى صنغاي، بالإضافة إلى وضعه خطة لتوسيع مملكته وتدعيم ملكه باسم الجهاد الإسلامي، فتوسعت مملكته إلى ساحل المحيط الأطلسي وإمارات الهوسا[5].

[1] – هو جلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضري السيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي. إمام حافظ ومقرر ومؤرخ وأديب فقيه شافعي له نحو 600 مصنف ولد 849هـ–1445م بالقاهرة وتوفي 911هـ–1505، للمزيد أنظر السيوطي جلال الدين: حسن المحاضرة أخبار مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، القاهرة ،1976، ص344.

[2] – محمد كعت: المصدر السابق، ص94.

[3] – محمود كعت، المصدر السابق، ص94.

[4] – محمد بن عبد الكريم المغيلي ينتسب إلى قبيلة مغيلية تقطن نواحي تلمسان توفي 909هـ–1503م وكان من علماء عصره سكن توات ودفن بها – بقصر بوعلي كره معلوم للمزيد أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي: الأسقيا وأجوبة المغيلي، تق وتح: عبد القادر زباديه، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974، ص ؟

[5]–حسين سيد عبد الله مراد: "مملكة صنغاي"، مجلة قراءات تاريخية، ع13، سبتمبر 2012، ص18.

المبحث الثالث: رحلة البرتلي الولّاتي (1204هـ-1206هـ/ 1789م-1791م)

تعد رحلة البرتلي الولّاتي[1] من الرحلات الحجية للشناقطة الموريتانيين، بل وهي أقدم رحلة حجية شنقيطية مدونة، وينسب ركب الحج الولاتي إلى مدينة ولاتة حيث كان من قبلها حجاج ولاته يحجون مع حجاج مالي، لكن بعد سقوط صنغاي التي ورثت مملكة مالي نضم سكان ولاتة ركبهم الحجي الخاص بهم، عرفت الرحلة الحجية للبرتلي الولاتي عدة مراحل:

أولاً: الطريق من ولاتة وصولا إلى أزواد

حيث خرج ركب البرتلي من ولاتة يوم 25 صفر 1204هـ الموافق ل: 14 نوفمبر1789م. ضمن ركب الحج يتضمن مجموعة من أعيان ولاته، ووصل إلى منطقة ازواد بشمال مالي حاليا وذلك بعد سير أربعة عشر ليلة حيث وصل الركب إلى قرية بوجبيهة أولى قرى ازواد، فمكث فيها الركب أربعة وعشرون ليلة، ومنها انطلق إلى مدينة تنبكتو لزيارة قبور الصالحين ولقاء علمائها ليعود إلى بوجبيهة مرة أخرى ومكث بها ثلاثة وعشرون ليلة أخرى،اجتاز خلالها الشيخ محمد الأمين بن احمد الكلسوكي الجبيهي في كتاب الشفا تعريف بحقوق المصطفى فأجازه[2]، وفي 13 جمادى الأول 1204هـ الموافق لـ:01 يناير 1790م خرج الركب من بوجبيهة إلى قرية المأمون، مكث بها أربع عشر ليلة ومنها إلى قرية المبروك في 29 جمادى الأولى 1204م الموافق لـ : 2 يناير 1790م[3].

---

[1]- هو الحاج البشير بن الحاج ابي بكر بن الطالب بن محمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة 1214هـ /1800م وصف البرتلي الولاتي صاحب فتح الشكور، بأنه كان محباً للرسول صلى الله عليه وسلم، ملازماً لقراءة قصائد مدحه حتى كان يسمى بالمداح ، نشأ في أسرة علمية تنتسب للأنصار، كان خيراً بضروب القصائد والمدائح حتى أطلق عليه لقب المداح وأشتهر برحلته الحجية التي خلفها مكتوبة. للمزيد أنظر: محمد البشير بن أبي بكر البرتلي الولاتي: الرحلة المباركة للحاج محمد البشير بن أبي بكر البرتلي الولاتي إلى الحرمين الشريفين 1204-1206هـ/1789-1791م، تح ودر: عمر عبد العزيز منير، دار بريل للنشر، بوسطن، ص22

[2] -محمد البشير بن أبي بكر البرتلي الولاتي: الرحلة المباركة للحاج محمد البشير بن أبي بكر البرتلي الولاتي إلى الحرمين الشريفين 1204-1206هـ/1789-1791م، تح ودر: عمر عبد العزيز منير، دار بريل للنشر، بوسطن،ص22.

[3]- المصدر نفسه ،ص49

ثانيا: من المبروك إلى توات

مرت الرحلة بتنزروفت الصحراء الموحشة في يوم الاثنين 07 جمادى الأخرى 1204هـ الموافق لـ: 22 يناير 1790م، وبعد قضاء خمسة ليال في بلدة المبروك توجه ركب البرتلي إلى منطقة توات حيث عبر طريق سالكة وهي معروفة لدى الركاب معلومة الآبار والمحطات، حيث مرَّ الركب ببئر أشوراط وبئر تنصضين وهو آخر الآبار قبل الدخول إلى صحراء تنزروفت[1] في صحراء الجزائر[2]، وتعد رحلة البرتلي المصدر العربي الوحيد الذي تناول وصف صحراء تنزروفت وهذه الصحراء سماها الفرنسيون صحراء العطش لانعدام منابع المياه والحياة فيها، وهي من أخطر المراحل في الطريق إلى توات من منطقة أزواد شمال مالي، حيث تعرف سنوياً هلاك العديد من المارين عبرها إلى يومنا هذا. ويصف البرتلي تنزروفت بأنها لا تسلكها القوافل إلا نادراً لقلة مورد الماء بها خصوصاً في فصل الصيف الحار أرضها حصوية خشنة مستوية لا شجر ولا نبات ولا حيوان، وقطع ركب البرتلي هذه المرحلة الصعبة في مدة أسبوع كامل حين وصل إلى أول منبع مائي عذب مشرف على بلاد توات هو بئر ولن أوايوالان. حيث مكث الركب عنده مدة ثلاثة أيام زار فيها البرتلي ضريح الشريف مولاي زيدان الذي دفن بمنطقة البئر[3].

بعد قضاء مدة ثلاثة أيام عند بئر والن دخل الركب بلاد توات من بوابة قرى أقبلي حيث زاوية الشيخ أبي نعامة[4]، مجمع ركب الحج حيث تجتمع فيها وفود الحجاج القادمين من

---

[1] – البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص77.

[2] –تنزوفت: لفظ امازيغي يعني الصحراء الشاسعة وهي منطقة شاسعة جداً بها رمال كثيرة تسير سبعة أيام دون ان تجد نبات أخضر او يابسة ولا حتى رطوبة مما يجعل المسافرين من العطش، للمزيد انظر: المصدر نفسه، ص77.

[3]– محمد البشير بن أبي بكر البرتلي الولاتي ، المصدر السابق، ص 77

[4]–هو الشيخ أمحمد عبد الرحمان أبي نعامة بن أمحمد بن عبد الرحمان أبي نعامة بن عبد الرحمان الهاملي بن أبي بكر الحاج بن الشيخ أحمد البكاي بودمعة بن أمحمد الكنتي عقباوي القادري ولد سنة 1060هـ /1650م بساقية الحمراء من أطراف سجلماسة تلقى تعليمية في تافيلالت ثم كرزاز على يد الشيخ أحمد بن موسى ثم انتقل إلى تمبكتواين أخد فيها العلم عن الشيخ أحمد الخليفة بن اعمر ثم قصد الصحراء يبتغي توات فحط رحاله في تيمادنين أين بنى بها مسجداً وتتلمذ بها على يد جماعة من أهلها ثم بعد سنوات رحل إلى تيديكلت فحطّ الرجال بأقبلي فاستضافه أهلها وأشترى منهم الأراضي فبنى بها زاويته المسماة باسمه عام 1137هـ، للمزيد: أنظر ابلالي أسماء:"فهرس مخطوطات خزانة شيخ

توات والتكرور، تحت لواء واحد هو لواء شيخ الركب النبوي الشيخ أبي نعامة وبعد رحلة قصيرة دامت أربع ليال حل الركب بزاوية أبي نعامة، فأستقبلهم شيخ الزاوية السيد الحبيب بن سيدي محمد أحسن استقبال، وبقي الركب خمس ليال في ضيافة الزاوية ثم بعدها توجه إلى مدينة عين صالح بداية من يوم الاثنين 05 رجب 1204م ووصلها بعد يومين ومكث بها خمس ليال ووصف أهلها بالكرم وخدمة الحجيج حيث استضافهم عائلة أولاد سيدي باب، الذين عدهم من رؤساء تلك البلاد[1].

– ثالثاً: الطريق من عين صالح إلى قرى فزّان

خرج الركب من عين صالح يوم الاثنين 12 رجب 1204هـ وسار عبر الطريق المعهود مدة، ثم انحرف عنها لجهة اليمين لتحاشي بعض أعراب المنطقة الذين كانوا في أغلب ظنه من قبيلة الشعابنة، بعد مرور أربعة أيام من المشي في فلات من الأرض قليلة منابع المياه وصل الركب إلى قرى فزّان وهي إحدى عشر قرية تابعة لفزان أولها أوباري، وصف البرتلي أهلها بالكرم فقد ضيفوا الركب بالتمر والقمح والشعير رغم انشغالهم بتقديم العزاء، ثم قرية جرمة ثم تحاشى الركب بعض القرى الصغيرة واختاروا الفضاء المليء بالأعشاب لتقتات منها الإبل ثم نزل الركب بقرية أتساوة وهي أعظم قرى فزان والظاهر المؤلف أعجب بالقرية فوصفها وصفاً حسناً، حيث تحدث عن كرم أهلها ومحبتهم للحجاج وقال أنه لم يرى في طريق الحج مثلهم في الحرص على طلب البركة من الحجيج والدعاء والتواضع وذكر أن سلطان البلدة كان يخرج شخصيا للقاء الحجاج وزار الركب عدة مزارات وأضرحة منها قبر الحاج أحمد بن أحمد بن الحاج أمين التواتي شيخ ركب ولاتة، كما زار قبراً وصفه وصفاً دقيقاً وقال عنه أنه قبر نبي من أنبياء الله، كما زار بعض العلماء كالشيخ يحي بن محمد بن يحي[2].

ثم توجه الركب إلى قرية مرزوق وهي حاضرة فزان السياسية والاقتصادية وهي مقر سلاطين فزان أولاد محمد خلال تلك الفترة، وفيها ينظم الاستقبال الرسمي لركب الحجاج

ركب النبوي أي نعامة الكنتي بأقبلي بولاية أدرار"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة غرداية، ع الثامن، جوان 2020، ص85–86.

[1]–البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 50.

[2]– نفسه، ص 50–52.

وتقام المهرجانات بحضور السلطان وكذا الاستعراضات بالخيول والبارود وبعد احتفال يتقدم الحجاج للسلام على السلطان لينتقلوا إلى مسجد البلدة في ضيافة السلطان[1].

وبعد قضاء تسع ليال يتوجه الركب نحو قرية اتراغن حيث يتزود فيها الركب بالتمر ونزل الركب في زاوية الشيخ محمد بن تامر الذي أكرمهم تم توجه الركب إلى قرية زويلة وسماها البرتلي قرية الشرفاء وهي قاعدة فزان القديمة وأهم القرى بعد مرزوق، ويذكر البرتلي أن أحد الأشراف يدعى هند وأن بها قبابا للصحابة الذين فتحو البلاد وبعد ليلتين توجه الركب إلى نمسة وهي أقصى قرى فزان يتزود بها الركب بالتمر للإبل ثم سار الركب عبر الجبال وهي من أصعب المراحل لمدة إثنا عشر يوماً ليصل إلى قرية وجلة وهي محطة من محطات ركب الحج وزار فيها المساجد وأضرحة الصلحاء المدفونين بها[2]، مثل الصحابي الفاتح عبد الله بن سرح والإمام الأوجلي، وبعد ثلاثة ليال حل الركب بقرية جالو ليلة 27 رمضان 1204هـ الموافقة لليلة القدر حيث ختم الركب القراءات الكريمة ثم توجه الركب إلى قرية سيوة التي أقام بها الركب ثلاثة أيام ثم سار عبر مسالك وعرة ليصل أول قرية تابعة لمصر وهي قرية كرادسة في 25 شوال 1204هـ الموافق لـ:27 يونيو1789م[3].

رابعاً: دخول الركب إلى مصر

سار الركب عبر قرية الريف المصري وصولا إلى نهر النيل ليستقلو السفن للعبور إلى ضفة أخرى من النهر وصولا إلى طيلون حيث بات الركب سبع ليال ليرتاح يوم 02 ذي القعدة 1204 الموافق لـ: 04 جويلية 1789م، ومر بالحصباء والدار الحمراء وصولا إلى عجرود حيث ذكر المؤلف اهتمام العثمانيين بالحجاج خاصة السقاية كبنائهم للأحواض التي تملأ بالمياه العذبة[4].

[1]– نفسه، ص 52.

[2]– البرتلي الولاتي، المصدر السابق ،ص 53.

[3]– نفسه ، ص55

[4]– نفسه، ص55.

خامساً: الطريق من مصر إلى الحجاز

مرّ الركب من قرية السويس ثم عين النابع للتزود بالمياه استعداداً للدخول لواد التيه والعقبة وهي أصعب مراحل الدرب نظراً للمسالك الجبلية الوعرة حيث سار الركب بمحاذاة الشاطئ جنوباً وصولاً إلى قرية ظهر الحمار ثم مغائر النبي شعيب حيث التقى بالركب المصري ثم وصلوا الدركين التي فسرها البرتلي بتفسيره الصوفي حيث قال، أن أولياء المشرق يستلمون رعاية الحجيج من أولياء المغرب[1]، ثم سار الركب وصولاً إلى الينبوع مرافق للركب المصري ثم وصل إلى بدر حيث التقى مع الركب الشامي وثم زيارة شهداء بدر المدفونين هناك وبعض المزارات كموضع العريش الذي نصب للرسول صلى الله عليه وسلم[2].

واصل الركب سيره مع الركبين المصري والشامي حتى وصل إلى رابغ حيث منزل الإحرام فاغتسلوا ولبسوا إحراماتهم للحج المفرد وساروا ملبّيين فدخلوا مكة المكرمة يوم الخميس 08 ذي الحجة الموافق لـ: 08 غشت 1789م فدخل الركب البيت الحرام وبدأ في ممارسة شعائر الحج خطوة بخطوة وبعد إتمام المناسك تمت زيارة المزارات وكذلك في مدة سبع عشر ليلة قضاها الركب بمكة عقب انتهاء مناسك الحج[3].

– سادساً: الطريق من مكّة إلى المدينة المنوّرة

بعد طواف الوداع يوم الخميس 29 ذي الحجة 1204 سار الركب إلى المدينة المنورة في أثر الركب المصري ففي 12 محرم 1205هـ الموافق لـ: 11 سبتمبر 1789هـ وصل الركب إلى المدينة المنورة حيث زار البرتلي ومن معه المسجد النبوي وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ثم زيارة قبور الصحابة الكرام والعديد من المزارات[4].

سابعـاً: طريق العودة إلى الديار

في يوم الاثنين 17 محرم 1205هـ شرع الركب في الاستعداد للخروج من المدينة المنورة بعد صلاة الفجر في المسجد النبوي ووداع الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل البقيع

---

[1]– البرتلي الولاتي، المصدر السابق ، ص 56.

[2]– نفسه، ص56.

[3]– نفسه، ص57

[4]–نفسه، ص57.

توجه الركب إلى اتجاه مصر حيث دخل القاهرة يوم الخميس 20 محرم 1205هـ، فزار مشاهد العلماء والصالحين كالإمام الشافعي وأئمة المالكية وآل البيت كالسّيدة نفيسة والسّيدة زينب رضي الله عنهم، كما زار قبر رابعة العدوية وتحصل البرتلي على الإجازة من الشيخ المرتضى الزبيدي في صحيح البخاري وكتاب الشفا للقاضي عياض على عادة الحجاج المغاربة، الذين كانوا يمكثون في مصر شهوراً لطلب العلم والتجارة[1].

وفي الثاني من رجب 1205 سار الركب من وجلة ثم إلى فزان ثم عين صالح في 29 رمضان 1205هـ ثم أقبلي التي وصلها 06 شوال 1205هـ ثم توجه إلى بلاد أزواد حتى حل بقرية بوجبيهة يوم الأربعاء 25 ذي القعدة 1205هـ ومنها إلى تنبكت وبعد أربعة عشر ليلة وصل الركب إلى ولاتة التي وصلها يوم الأربعاء 14 محرم 1205هـ وبذلك انتهت الرحلة المباركة[2]، ويمكننا أن نعد هذه الرحلة رحلة علمية استكشافية لأداء فريضة الحج حيث تعد رحلة البرتلي من أهم مصادر دراسة طريق ركب الحج خاصة من ولاتة مروراً بتنبكت وتوات عبر صحراء تنزروفت.

خاتمة الفصل:

خلاصة القول أن الرحلات الحجية السودانية عرفت شهرة عالمية بسبب ضخامتها وتنظيمها وعدد أركابها، وإشراف الحكام عليها وهو ما ساهم في التقارب بين الشرق و الغرب الإسلامي بالرغم من بعد المسافة وصعوبة الطريق.

[1]– البرتلي الولاتي، المصدر السابق ، ص58.

[2]–نفسه، ص59.

الفصل الثالث: الدّور الحضاري للرحلات الحجّية في بلاد السّودان الغربي

- المبحث الأول: انتشار الإسلام والمذهب المالكي
- المبحث الثّاني: انتشار العلوم والثقافة العربية ولغتها
- المبحث الثالث: التأثير الاجتماعي للرحلة الحجية على بلاد السودان الغربي

كان للرحلات الحجية السودانية دورا حضاري بارز على بلاد السودان الغربي حيث نتناول في هذا الفصل أهم النتائج الحضارية لهذه الرحلات وخاصة التطور العمراني والعلمي بسبب جلب العلماء، فما هي نتائج هذه الرحلات الحجية؟ وكيف تأثر سكان السودان الغربي بالحضارة العربية الإسلامية؟

المبحث الأول: انتشار الإسلام والمذهب المالكي

كانت لرحلات الحج لسلاطين الممالك الإفريقية الإسلامية آثار متعدد الجوانب على المستوى السياسي والحضاري لدولهم ونظام حكمهم، وشكل الحج أحد أهم طرق انتشار الإسلام في السودان الغربي، فقوافل الحج السودانية تمر في رحلتها كل عام إلى مكّة بمناطق وأقاليم كثيرة تعيش فيها العديد من القبائل الوثنية، أو قبائل حديثة العهد بالإسلام، فمرور الحجيج بها واستقرارهم فيها مدة من الوقت للراحة كان سببا في انتشار الإسلام وتعاليمه ومبادئه بين سكان تلك المناطق، وكانت بعض قوافل الحجيج تقوم بإنشاء المساجد وتحرص على أداء الصلاة فيها، فيختلط السكان بالحجّاج ويتعرفون عن قرب على الإسلام وأركانه وتعاليمه، كما فعل منسى موسى الذي كان له الفضل الكبير في تأسيس المساجد في توات لما مرّ بها في طريقه إلى الحج، كما حرص على تشييد المساجد والجوامع في الأماكن التي توقف بها لأداء صلاة الجمعة، فكثير من المسافرين كانوا يصلون في المساجد التي أقيم بعضها داخل المدن أو على جنبات الطرق[1].

أولا: نشأة وانتشار المجاورة بين حجاج السودان الغربي:

كان لظاهرة مجاورة[2] بيت الله الحرام الأثر البالغ في انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي، فكان الوافدون أهل السودان يتأخرون في بلاد الحجّاز بعد أداء الحجّ، ولا يعودون

[1]– محمود كعت : المصدر السابق، ص34.

[2]– المجاورة: وهي الاعتكاف في المسجد ويعود تاريخها إلى عصر النبوّة، فقد جاور في مكة كثير من الصحابة رضوان الله عليهم. ولم تكن مدة المجاورة محدّدة، فمن المجاورين من كان يبقى في مكة مدة قصيرة ثم يعود لبلده، ومنهم من فضّل

إلا بعد مدة طويلة، يقضون بعضاً منها في مجاورة الحرمين الشريفين، ويتلقون تعاليم الدين الحنيف، ويتصلون بشكل مباشر بالشيوخ والعلماء، ويقفون على آخر ما ألّفوه، وساعدهم ذلك في تعلّم الكثير، كما أثرتهم بحصيلة علمية وافرة، كان لها نصيب كبير في المساهمة في ازدهار الحركة الثقافية والفكرية ، وهذا يبين مدى حرص حجّاج السودان الغربي وإصرارهم على أداء فريضة الحجّ والمجاورة بعد أن أدركوا قيمتها العلمية، وأثرها في توسيع ثقافاتهم، بالرغم من حداثة إسلامهم وبُعدِهم عن الحرمين الشريفين فالحجّاج الذين تأثروا بروح الأخوة الإسلامية، في طريق الحج، وفي أثناء الموسم عادوا من حجهم، ممتلئين بنشوة دينية عميقة، فكانوا أهم مؤثر في أهلهم وأصدقائهم وجيرانهم، الذين لم يسْلِموا بعد، كذلك الأشخاص الذين رافقوا قوافل الحجيج، وصحبوهم إلى بلادهم مهاجرين، ومعظمهم من العرب والبربر الذين مضى على إسلامهم زمن طويل، وحملوا معهم العقيدة والثقافة الإسلامية[1].

كما اتّضح أثر الحج في نشر الإسلام باطّلاع حجاج السودان الغربي على مختلف الأحداث والعلوم التي تدرّس، وذلك من خلال مرورهم بالبلاد الإسلامية، وبعد انتهاء موسم الحج يعودون الى بلادهم وقد انتهوا من أداء فروضهم الدينية واطلعوا على آثار الصحابة رضي الله عنهم والعلماء، ودرسوا شتى العلوم العربية والإسلامية[2]، الأمر الذي ساعدهم في نشر الإسلام والدعوة وإرشاد الناس وتوجيههم، ومن العلماء المجاورين نذكر:

– العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر علي بن يحيى التنبكتي، (ت 991هـ/ 1583م): وهو والد الشيخ أحمد بابا التنبكتي، وقد أدّى فريضة الحجّ، والتقى بمجموعة كبيرة

البقاء والعيش فيها حتى وفاته، كما تولّى المجاورون عدة مناصب وأعمال في أثناء مجاورته، مثل الإمامة والأذان والتدريس لبعض العلوم الشرعية والإسلامية، ومنهم من تولّى منصب القضاء والفتوى.

[1]– عبد الحليم رجب محمد: المسلمون في إفريقيا جنوبي الصحراء، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي 16/1، دار الرسالة، بيروت، 2004، ص ص8–73.

[2]– مطبر سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1425هـ/ 2005م، ص166.

من العلماء منهم الناصر اللقاني (ت 958هـ / 1551م)، كما لازم أبا المكارم محمد البكري (ت 994هـ / 1586م)، ودرس مختلف العلوم الإسلامية إلى أن أجازوه، ولزم التدريس بعد عودته إلى بلاده[1]، وقد علت مكانته واحترامه لدى السلاطين، ومن ذلك أن السلطان أسقيا محمد كان يزوره طوال مرضه حتى شُفي، ومن خصاله الحميدة التواضع والعدل وحب الخير وأهله[2].

ومن أهم مؤلفاته شرح منظومة المغيلي في المنطق، وقرأ البخاري خمساً وعشرين سنة، كما قرأ صحيح مسلم، وعلّق على صغرى السنوسي، والقرطبية، وجمل الخونجي، كما علّق على موضع من مختصر خليل، وشرح للتائي حاشية بيّن فيها مواضع السهو منه[3].

– والفقيه أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت التنبكتي (ت 942هـ / 1535م): درس على الشيخ أندغ محمد، جدّه لأمه، كما درس على أهل ولاتة، وعلى خاله الفقيه المختار النحوي فيما يختص بعلم النحو ، وكان فاضلاً صالحاً ورعاً حافظاً للسنّة، فقيهاً نحوياً عروضياً، معتنياً بتحصيل العلم، واهتم بدراسة قصائد المدح النبوي، والشفا للقاضي عياض، ونسخ سبعمائة مجلد من الكتب بخطّ يده، واحتفظ بها في مكتبته، وفي عام 890هـ / 1490م سافر للحجّ، والتقى بالشيخ عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ / 1505م)، وخالد الأزهري (ت 905هـ / 1500م)، واستمر في التدريس وفي نسخ الكتب بعد عودته إلى تنبكت، حتى توفي عام 943هـ / 1536م وعمره ثمانون سنة[4].

---

[1]– سير توماس. و.أرنولد: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م، ص391.

[2]– عبد الفتّاح الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة لشرق، مصر، 1985، ص97.

[3]– التنبكتي: المصدر السابق، ص 395–396.

[4]– العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مصطفى أبوضيف أحمد، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر، ممالك إفريقيا ما وراء الصحراء وممالك إفريقية وتلمسان وجبال البربر وبر العدوة والأندلس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ/ 1988م، ص74.

– أبوبكر محمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي (ت 991هـ / 1583م): وقد حجّ وجاور في المدينة المنورة، ثم عاد إلى تنبكت، وبقي فيها أربعة أشهر، ولكنه ارتحل إلى المدينة بأسرته، وبقي فيها حتى توفي عام 991هـ / 1583م، وقد قرأ عليه الشيخ أحمد بابا علم العربية، ومن مؤلفاته "معين الضعفاء في القناعة"[1].

– صديق محمد تغلي، (ت 973هـ / 1566م): ولد في جني، وأقام في تنبكت، ثم رحل للحجّ، وزار المدينة، واجتمع مع كبار الشيوخ، مثل العارف بالله محمد البكري الصديقي الذي كان يكنّ المحبّة لشيوخ تنبكت، وكثيراً ما كان يسأل عن أحوالهم[2].

– أبوعبد الله محمد الكشناوي الفلاتي (ت 1154هـ / 1741م): اتصف بحسن الفهم وكثرة الحفظ، وأدى الحجّ وجاور، وأجازه علماء الحرمين ومصر، وشهدوا له بالفضل والعلم وكرم الأخلاق، وكان منهم القاضي محمد بن أبي محمد التاذختي، ومن أبرز مؤلفاته كتاب بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والأعلام في علم الحروف والأوقاف، وكتاب بلوغ الأرب من كلام العرب، والدّر المنظوم وخلاصة السّر المكتوم، وأقام في مصر وتوفي بها[3].

– العاقب بن محمود بن عمر بن محمد بن أقيت التنبكتي (ت 991هـ / 1583م): من أبرز علماء تنبكت، تولّى القضاء والتدريس فيها، وحجّ وجاور[4]، "كان مسدّداً في أحكامه، ثبتاً فيها، صلباً في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي القلب، مقداماً في الأمور العظام التي يُتوقف بها، جسوراً على السلطان فمن دونه لا يبالي بهم، ووقع له معهم وقائع، وكانوا يخضعون له

[1]– قداح نعيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية، الجزائر، بلا.ص 85

[2]– القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المؤسّسة المصرية العامة للتأليف، دار الفكر، بيروت، 1407هـ/ 1987م، ص 285.

[3]– محمود: حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006م، ص161.

[4]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، 418.

ويهابونه ويطاوعونه فيما يريد، إذا رأى ما يكره عزل نفسه وسدّ بابه، فيلاطفونه حتى يرجع"[1]، ومن أهم مؤلفاته :كتاب وجوب الجمعة على أهل القرية، كما اعتنى بتجديد بناء المساجد[2].

– أبوعمرو عثمان بن موسى الجاني: فقيه مالي وكبير قضاتها، نبغ في رواية التاريخ، اتّصف بالعدل وحبّ العلم، لا يخاف في الله لومة لائم، وهذا ما جعله صارماً في تنفيذ أحكامه[3]، وقد أدّى فريضة الحجّ، والتقى بابن خلدون في مصر في أثناء مروره بها عام (799هـ / 1397م)، والذي سأله عن بلاد مالي وأهمّ سلاطينها وشؤون البلاد وأوضاعها[4].

– عبد الله بن محمد بن أحمد البوحسني: رحل إلى الحجّ عام 1077هـ / 1666م، وتلقّى تعليمه لدى الشيخ أبي مهدي مفتي الحرمين، كما التقى بعدد كبير من شيوخ الحجّاز[5].

– عثمان محمد بن الطالب الوافي الغلاوي: درس مختصر خليل، ونفع الله به الناس، وحجّ ثلاث مرات (1018 –1019 –1020هـ / 1609 –1610 –1611م)، وجاور بالمدينة، وبقي فيها حتى توفي عام 1020هـ / 1611م[6].

– الشيخ قاسم التكروري: الذي حجّ وجاور، حتى توفي عام 747هـ / 1347م بالقرب من مكة المكرمة[1].

---

[1]– حجازي علي طراوه: دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي الراشدين والأمويين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1423هـ / 2003م، ص6.

[2]– أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي: 628 – 834هـ / 1230 – 1430م، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1420هـ / 1999م، ص223.

[3]– عبد الحليم رجب محمد، المرجع السابق، ص 8و77.

[4]– مسعود عمر محمد: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، د. ت، ص155.

[5]– عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم: الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية في إفريقيا في عصر سلاطين المماليك في الفترة من 648 – 933هـ / 1250 – 1517م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1422هـ / 2002م، ص 116.

[6]– باه عمر محمد: الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993،ص210.

– محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي (ت 936هـ / 1530م): اشتهر بأيد محمد، وقد رحل إلى بلاد الحجّاز للحجّ وطلب العلم، ومن كبار العلماء الذين أجازوه في مكة أبوالبركات النويري (ت 799هـ / 1397م)، وابن عمه عبد القادر، ثم عاد إلى بلاد السودان الغربي، وبقي بها، حتى توفي عام 936هـ / 1530م[2]، وله تقييد وطرة على مختصر خليل[3].

– محمود بن الحاج المتوكل، المعروف بكعت، (ت 1002هـ / 1593م): الذي كان يفتخر بأنه مولود في تنبكت، فيقول عن نفسه: «التمبكتي مسكناً الوعكري أصلاً»[4]، وهو من أشهر علماء مدينة تنبكت خاصة، والسودان الغربي عامة، عاش حياته مؤرّخاً في عصر دولة صنغاي زمن حاكمها السلطان أسقيا الحاج محمد، وكان مرافقاً له في رحلة حجّه عام 902هـ / 1497م[5].

ومن أشهر مؤلفاته كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار"، وهو كتاب شامل عن تاريخ دولة صنغاي، حيث أرّخ فيه لبلاد السودان الغربي في عصر هذه الدولة، وتحدّث فيه عن العلماء والحكّام، كما تحدّث عن بلاد السودان الغربي وطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وأهمّ ما يمتاز به هذا الكتاب أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي ذكرها، وشارك في بعض منها، واعتمد في معلوماته في هذا الكتاب على النقل عن مجموعة من الفقهاء، منها ما نقله عن الفقيه القاضي عمر أحد فقهاء تنبكت فقال: "ونقلت من شيخنا

---

[1]– عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص162.

[2]– طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنيين السابع والثامن للهجرة، مكتبة فهد الوطنية، السعودية، 1996، ص98.

[3]– السعدي: المصدر السابق، ص 16.

[4]– آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، نشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر د. ت، ص42.

[5]– ابن بطوطة، أبوعبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحها وكتب هو امشها طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1423هـ/ 2002م، ص701، 702.

محمد ولد كرتم رحمهم الله"[1]، وقد بدأ في تأليف كتابه عام 925هـ / 1519م، ثم توفي عام 1002هـ / 1593م، فاهتم أبناؤه وحفدته بهذا الكتاب القيم وأكملوه من بعده[2].

– محمد بن عبد الله التكروري: خطيب مالي وعالمها، وكان "من المشايخ الكبار المشتغلين بالعلم والعمل"[3]. وقد بقي مجاوراً في المدينة المنورة إلى أن توفي بها عام 742هـ /1341م[4].

– محمد محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي، المعروف ببغيغ، (ت 1002هـ / 1594م): له تعاليق وطرر، اهتمّ فيها بتوضيح بعض الهفوات لشرح خليل وغيره، كما تتبع شرح التتائي (ت 942هـ / 1536م) من بدايته إلى نهايته، ووضّح ما فيه من السهو، الذي اهتمّ به أحمد بابا، وقام بجمعه في عدة كراريس، وكان يعيرها لطلاب العلم، وهو ما كان سبباً في فقدان الكثير منها[5]، وأخوه الفقيه الصالح أحمد، وقد رحلا إلى الحجّ مع خالهما، ودرسوا على علماء الحرمين، حتى أصبحوا من علماء مكة والمدينة، ثم عادوا إلى تنبكت[6].

– محمود بن عمر بن محمد بن محمد بن أقيت بن عمر يحيى التنبكتي (ت 955هـ / 1548م): "عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع، والذي طار صيته شرقاً وغرباً"[7]، ولد عام 868هـ / 1464م، وتولّى القضاء 904هـ / 1499م، ودرس كثيراً من الكتب، ومن أهمها المدوّنة، والألفية لابن مالك (ت 672هـ / 1274م)، ومختصر خليل (ت 767هـ /

---

[1]– مصطفى حنفي: "ثقافة الصحراء والعمق الإفريقي للهوية الثقافية العربية الإسلامية"، بحث ضمن إصدار بعنوان: "أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء"، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د. ت، ص38.

[2]– القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص298.

[3] -هوبير ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1376هـ / 1956م، ص 132.

[4]– العمري: المصدر السابق، ص71.

[5]– المقريزي: المصدر السابق، ص143.

[6] – نفسه، ص143.

[7]– نفسه، ص113.

1366م) في الفقه المالكي، فعن طريقه انتشر تدريس كتاب خليل، وبخاصة شرحه وتعليقاته التي كانت على جزئين، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني[1]، وفي عام 915هـ / 1510م سافر للحجّ، والتقى بالقلقشندي (ت 821هـ / 1419م)، وبعد دراسة الكثير من العلوم عاد إلى بلاده، ولازم التدريس إلى أن توفي، وقد عاش أكثر من تسعين سنة[2]، ولعلوا منزلته لدى السلاطين خرج الأسقيا محمد لاستقباله في أثناء قدومه من الحجّ[3].

إن علماء وفقهاء السودان الغربي قد بلغوا درجة رفيعة من العلم والثقافة لا تقل عمّا وصل إليه العلماء في المناطق الإسلامية الأخرى، ويعود ذلك إلى أدائهم فريضة الحجّ ومجاورتهم لعلماء الحرمين ومشايخهم والدراسة عليهم.

ثانيا: دور الحج في توجيه وتصحيح المفاهيم العقائدية على المذهب المالكي

لقد حققت رحلات الحج السوداني أهدافا علمية ودينية في آن واحد، ونتج عنها سفر الكثير من الحجاج وطلاب العلم الأفارقة لتلقّي العلم في المراكز العلمية المختلفة، سواء في بلاد الحرمين أوفي مصر، كما ارتبط هؤلاء الطلاب بعلاقات مع العلماء الذين رافقوهم في القافلة أو الذين قابلوهم، وذلك عندما احتاجوا إلى أجوبة على استفسارات متعلقة بالحج ومناسكه وواجباته، فسرعان ما وجدوا الإجابة الوافية التي ساعدتهم على أداء مناسكهم[4].

وقد حرص علماء الحرمين الشّريفين في مكّة والمدينة على تعليم الحجّاج الأفارقة مبادئ الدعوة الإسلامية وتدريسهم العلوم الدينية كافة، مثل سيرة الرسول صل الله عليه وسلّم، وعلوم الفقه، والتوحيد، والتفسير، فإذا تمكنوا منها ونبغوا في تعلّمها أجازهم العلماء، فعادوا إلى بلادهم

---

[1]– محمد الغربي: المرجع السابق، ص557.

[2]– محمد بن أبي بكرالبرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد ابراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص27.

[3]– أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المصدر السابق،ج1، تح: محمد مطيع، مطبعة فضالة، المغرب، ص133.

[4]–ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ص701– 702.

لنشر الإسلام والعقيدة الإسلامية والثقافة العربية بين شعوبهم في بلاد السودان الغربي، وكان لهم الفضل في نشر الإسلام بين قبائل الهوسا وشمالي نيجيريا وقبائل السوننك والبرنو والكانم وغيرهم[1].

كما اتّضح أثر الحج في نشر الوعي والفهم الصحيح للإسلام من خلال اتصال سلاطين السودان الغربي بالعلماء والفقهاء في الحجاز ومصر وتأثرهم بهم كثيرا، فالسلطان منسى موسى أثناء إقامته في القاهرة حرص على مجالسة العلماء والفقهاء، مثل مدرّس المالكيّة القاضي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري[2]، والفقيه أبي روح عيسى الزواوي (ت 743 هـ / 1344م)[3]، كما استقدموا الفقهاء المالكية إلى بلادهم لتعليم النّاس أصول دينهم وتعاليمه[4].

لقد كان من نتائج انطلاق رحلات الحج من بلاد إفريقيا الغربية، توفير فرصة للحجّاج لتعلم أمور دينهم، من خلال الاحتكاك بإخوانهم المسلمين، في أثناء أداء شعائر الحج، وفي أثناء مرور الحجّاج بالمراكز العلمية المشهورة في ذلك الوقت، مثل: جامع القيروان، وجامع الزيتونة، والجامع الأزهر، حيث يتمكن الحجّاج من أن يلتقوا بالعلماء والفقهاء، ويطلعوا على مؤلفاتهم، ويعود الحجّاج بعد ذلك بحماسة عالية، وهمة كبيرة لتعليم الناس أمور دينهم بعد عودتهم من الحج، والاندفاع لنشر الإسلام[5]، وكانت أهم قاعدة وملتقى لقسم كبير من حجيج إفريقيا الغربية

---

[1]– عبد الحليم رجب محمد، المرجع السابق، ص ص79/8.

[2]– محمد الأمين الجكني الشنقيطي: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ط مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد 142هـ/2005م، ص254.

[3]–جوزيف: المرجع السابق، ص 114.

[4]– قاسم عبده: مسلموا غرب إفريقيا على طريق الحج عبر مصر في زمن السيادة الإسلامية، دار عين للدراسات، القاهرة، 2015، ص66.

[5]–ميغا هارون المهدي"التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا"، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، فبراير 2016، ص 111.

هي مدينة "تنبكتو"، التي حولها الحجّاج لمنارة تنشر الإسلام، فمنها انطلقت جموع الدعاة والعلماء، تبشّر بالإسلام بين القبائل الإفريقية الوثنية.

وحتى ندرك أهمية رحلات حج الملوك في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، نشير إلى أن الملك منسى موسى عاد إلى بلاده من الحج، وبصحبته الفقيه المالكي عبد الرحمن التميمي، الذي ولاه القضاء، وكان له دور كبير في زيادة وتيرة نشر الإسلام في مالي[1]. كذلك استقدم موسى الفقيه أبا عبد الله محمد بن واسول من مدينة سجلماسة، ليولّيه القضاء، وهناك قابله المؤرّخ ابن خلدون[2].

كما أن طلاب العلم لم يكتفوا في تلقّيهم العلم على الحلقات التي كانت تُعقد في المسجد الحرام والمسجد النبوي، وإنما كانوا يتلقّونه أينما وجدت حلقات علمية في مختلف أنحاء مكة والمدينة، والتي كانت تتضاعف في مواسم الحجّ بسبب كثرة زوّار بيت الله الحرام في هذا الموسم، وتزدحم بالعلماء ورجال القراءات والحديث وشيوخهم، ويحضرون أيضاً المناظرات التي كانت تُعقد بين العلماء الذين قدموا إلى الحرمين الشريفين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي[3].

وحرص الطلاب والعلماء في هذه الحلقات على مجالسة الشيوخ من مختلف المذاهب الفقهية الإسلامية، وخاصة المذهب المالكي، فكانوا يميلون إليه كثيراً، لأنه كان منتشراً بينهم، فهو أقرب إليهم[4].

---

[1]–الساحلي: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، الملقب "طويجن"، أديب ومهندس معماري أسباني الأصل، خرج من مدينة غرناطة في أوائل ق 8هـ/14م لتأدية فريضة الحج المكرّمة، فالتقى في مكة سلطان مالي منسى موسى سنة 724 هـ 1324م، فدعاه السلطان لمرافقته، وبقي في مالي إلى وفاته في مدينة تنبكتو سنة 747 هـ 1346م.

[2]– محمد الأمين الجكني الشنقيطي: المرجع السابق، ص255.

[3]–ابن محمد عبد الله: "رحلة منسى موسى"، المجلة العربية، ع 472، الرياض، جمادى الأولى 1437هـ، ص 163.

[4]– بناني عثمان: "السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، ع269 أبريل1988، ص7.

إن ذلك كله يؤكد سمة الطابع السلمي لانتشار الإسلام في القارة الإفريقية عامة، وفي إفريقيا الغربية، بشكل خاص، "ومما يؤكد ذلك أيضاً أن أهل القارة أنفسهم سواء أكانوا من البربر أم من الزنج والسودان، هم الذين قاموا بنشر الإسلام، بعد أن وصلت الدعوة إلى بلدانهم، وإلى ما ورائها من بلدان"[1]، فالإسلام لم ينتشر في إفريقيا الغربية عن طريق القوة أو الفتوحات، بل وصلها بأكثر الطرق سلمية، ألا وهي طرق قوافل الحجيج التي سلكها الحجّاج، ومن ثم تبعهم الدعاة والتجّار.

المبحث الثّاني: انتشار العلوم والثقافة العربية ولغتها

عندما كان سكان إفريقيا الغربية يقومون بالرحلة نحو بلاد الإسلام، تدفعهم فريضة الحج التي يتماشى معها طَلَبُ العلم والتفقُّه، كانوا يحرصون على ارتياد حلقات العلم، في المساجد، والمدارس، والزوايا المنتشرة على طول الطريق، وحتّى الحجاز. والتي كانت تسبّب أحياناً مرافقة العلماء لركب الحجيج إلى إفريقيا الغربية، فكان لرحلة الحج دور مهم في اندماج إفريقيا الغربية روحاً وفكراً وحضارة بالعالم الإسلامي.

أولاً: ازدهار الحركة العلمية

يتضح في هذا المبحث كذلك تأثير المجاورة في المجال العلمي، حيث اعتاد الحجّاج المجاورة بعد رحلة حجّهم إلى بلاد الحرمين، والتوقف والمكث في بعض المناطق، سواء في الحجّاز أو في مصر أو في الشمال الإفريقي، بغرض الدراسة أو التدريس أو الدعوة أو نشر الإسلام أو التجارة، فمنهم من كان يقيم في مكة والمدينة، ينضمون فيها إلى حلقات العلم، ولاسيما الحلقات العلمية في المسجد الحرام الذي يعد من أكبر دور العلم التي يلتقي فيه الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، فلا يكاد يخلو من الزوار والرواد طوال العام، ويدرسون كثيراً من العلوم المختلفة، ومنها علوم اللغة والفقه والتفسير وأصول الدين.

[1]– ولد السالم حماه الله: "رحلات الحج من موريتانيا (بلاد شنقيط) وإسهامها في التواصل المشرقي المغربي"، المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين، قطر، من 5–9 ديسمبر 2010م، ص2.

وقد حرص علماء بلاد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة على تعليم الحجّاج الأفارقة مبادئ الدعوة الإسلامية، وتدريسهم العلوم الدينية كافة، مثل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلوم الفقه والتوحيد والتفسير، فإذا تمكّنوا منها ونبغوا في تعلّمها أجازهم العلماء، وعادوا إلى بلادهم لنشرها بين شعوبهم[1]، والحقيقة أن علماء بلاد الحجّاز والأزهر كان لهم أثر كبير في نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية في بلاد السودان الغربي.

ومن أهم العلوم التي كانت تُدرّس للطلاب العلوم الدينية، ويأتي في مقدمتها علم تفسير القرآن الكريم، وعلم القراءات، وعلم الفقه وأصوله، ومصطلح الحديث، وغيرها، ومن علوم اللغة العربية علم النحو، وعلم الصرف، وعلم البيان والبديع، ومن العلوم العقلية المنطق، وقد حرصوا على دراسته واجتهدوا فيه للاستفادة منه في جدال أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى ومحاورتهم، كما درسوا علم الكلام[2].

وتجلّى كذلك تأثير الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحرمين الشريفين على حلقات العلم في المدن السودانية، فأصبحت تحاكيها حتى صارت صورة مصغرة لها، ويظهر ذلك في قيام الكثير من حلقات العلم في بلاد السودان الغربي، والتي اجتمع حولها كثير من الطلاب لتلقّي الدروس وضروب المعرفة، فجامع سنكري في تنبكت كان محاكياً لجامع الأزهر في نظام التعليم، كالكتاتيب والمدارس الابتدائية لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، أما الدراسة فكانت في المعاهد العليا كالجامع الأزهر، وكانت الكتب نفسها التي تُدرّس في الحجّاز ومصر هي التي تُدرّس في جامع سنكري[3].

وكانت هناك حلقات علم ودراسة في بلاد السودان انضم إليها الكثير من الطلبة، وكانت تدور فيها كثير من المناقشات العلمية التي كانت تبدأ من منتصف الليل حتى صلاة الفجر

[1]–الأبيض أنيس، رحلة الحج من الأندلس كما وصفها ابن جبير، دار ابن رشد، بيروت، 2015، ، ص43.

[2]– سيسي محمود: طرق الحج في بوركينا فاسومنذ القدم قبل ظهور وسائل النّقل الحديثة، بحث، بلا .

[3]– نفسه.

ثم تتوقف لأداء الصلاة، ثم تستمر بعدها حتى وقت الزوال، وأما المرحلة الثانية من هذه الحلقات فتبدأ من صلاة الظهر إلى صلاة العصر[1].

وكان نظام التدريس في الحلقات العلمية في السودان يمتاز بالسهولة والوضوح، ومحاكياً لما كان متّبعاً في حلقات العلم في بلاد الحرمين الشريفين، فكان الطلاب يجتمعون على هيئة حلقة حول المعلّم الذي يلقي الدروس، ويتلقّى الأسئلة من الطلاب ويُجيبهم عنها، وقد اعتمد نظام التدريس في الحلقات على الإملاء، فكان المعلّم يلقي الدرس فيكتبه الطلاب، ويساعده في ذلك شخص يُدعى المستملي[2].

وكان للطلبة حرية اختيار معلّميهم من الشيوخ الذين يلمسون فيهم بساطة الأسلوب في التدريس، واتُّبع هذا النظام في جميع مساجد بلاد السودان الغربي وجوامعه، ومنها جامع سنكري ومساجد تنبكت[3].

ثانيا: انتشار اللّغة العربية

ازداد المستوى الثقافي لعلماء السودان تقدّماً في رحلة الحجاز المارة بمصر نتيجة احتكاكهم بعلماء العرب، وعبّر عن ذلك الألوري فقال: " أخذ أهل نيجيريا من الأدب العربي قدر ما يمكن للعجم أمثالهم أن يأخذوا، وأخذوه على هيئة ما كان في البلاد العربية كافة في ذلك العصر، وصاروا يؤلّفون ويقرضون الشعر، ومؤلفاتهم تضاهي مؤلفات أبناء العرب في الأساليب والتراكيب"[4].

واتضح أيضاً تأثير المجاورة في المجال العلمي على اللغة العربية، فقد انتشر انتشاراً واسعاً وكبيراً في بلاد السودان الغربي بمجرد دخول الإسلام إليها، وأينما حلّ الإسلام حلّت اللغة العربية

[1]–أحمد شلبي، موسوعة التّاريخ الإسلامي، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1418هـ / 1998 م، ص266.

[2]–العمري: المصدر السابق، ص68–69.

[3]– حسين سيد عبد الله مراد، مملكة صنغاي، قراءات إفريقية 4.13 سبتمبر 2012، ص ص15.16.

[4]–آدم عبدالله الألوري: المرجع السابق،ص42.

معه، لأنها لسانه الذي خاطب به تلك الشعوب للدخول فيه، ولهذا فقد احترمها سكّان السودان الغربي، لكونها لغة القرآن الكريم، ولأنها مرتبطة بالشعائر الدينية، وبخاصة الصلاة ومناسك الحجّ، ولحاجتهم إليها لمعرفة أحكام الدين الإسلامي ومختلف الأمور والمسائل الفقهية، وعن طريقها يتمّ تعلّم مختلف العلوم والمعارف، بوصفها لغة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

وبذلك انتشرت اللغة العربية، كونها لغة القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية، كما أنّ مَن يدخل الإسلام عليه أن يتعلم اللغة العربية حتى يستطيع معرفة الأمور الدينية، ومنها قراءة القرآن الكريم وأداء العبادات، ومنها شعائر الحج، فمناسك الحج والتلبية والدعاء كانت بالعربية، وقد حرص علماء وطلاب العلم من حجاج إفريقيا على تعلم اللغة العربية عند أداء فريضة الحج والدراسة على مشايخ الحرمين وحضور حلقات العلم والدروس، والعلوم تتطلب ضرورة معرفة اللغة العربية، فالدراسة والكتابة كانت تتم بها، ولذا حرص هؤلاء الطلاب على إتقان العربية وإجادتها، كما دوّنوا بها كثيراً من العلوم، وهذا ما دلّ على نبوغهم وتفاعلهم مع لغة القرآن الكريم[1].

ومن سلاطين السودان الغربي من كان يجيد العربية، فمنهم الفربا سليمان، وقد جالسه وصاحبه ابن بطوطة في أثناء زيارته لمالي، فذكر أنه كان يجيد العربية، وسلطان مالي منسى موسى الذي كان يتحدّث باللسان العربي، واتضح ذلك في أثناء أدائه لفريضة الحجّ[2]، كما أنه عند عودته لمملكته رسّم اللغة العربية كلغة رسمية وأمر الدوّاوين والسفارات اعتمادها كلغة للتدوين والتخاطب تأثرا بما وقف عليه في نظم مصر والحجاز.

[1]–ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 701، 702.

[2]–هوبير ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، تر: أحمد صادق، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1376هـ / 1956م،ص132.

لقد أصبحت اللغة العربية في بلاد السودان الغربي لغة للمعارف والعلوم والثقافة لكونها لغة القرآن الكريم، ومن ثم أصبحت لغة رسمية، فالقلقشندي يقول: " وكتاباتهم بالخطّ العربي على طريقة المغاربة"[1]، ويقول المؤرّخ هوبير ديشان: "إن منطقة غربي إفريقيا لم تكتف بدخول الإسلام، بل طُبعت بطابع عربي، بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد"[2].

إن لغة القرآن الكريم هي أداة الثقافة الإسلامية وتطوّرها، فبها تُنسخ المخطوطات، وتُؤدّى بها العبادات، وتُدرّس لجميع الطلاب.

ثالثا: انتشار الكتب والمكتبات:

مما ساعد على نشاط وازدهار الحركة العلمية والثقافية في بلاد إفريقيا توافر الكتب والمكتبات الخاصة والعامة، حيث اهتم المجتمع الإفريقي بشرائحه كافةً باقتناء الكتب ونسخها، وقد حرص العلماء على شراء الكتب مهما كانت أثمانها، وفي مختلف العلوم والآداب، من أجل تزويد مكتباتهم بها، وقد حرص بعضٌ منهم على جلب الكثير من نوادر الكتب وأهمها من بلاد الحجاز ومصر وجميع البلاد التي مروا بها.

وقد حرص حجّاج السودان الغربي على شراء الكثير من الكتب وجلبها معهم إلى بلادهم ليستفيد منها ذويهم وكان من أهم تلك الكتب كتاب (المدهش) لابن الجوزي (ت 597هـ / 1201م) الذي وجده ابن بطوطة عند الفربا سليمان[3]، وقد اشترى السلطان منسى موسى من القاهرة مجموعة من الكتب[4]، إضافة إلى الكثير من الكتب القيمة المختلفة، ولاسيما المتخصصة في الفقه المالكي وقدم بها إلى بلاده[5]، فقد أنفق سلطان مالي جزءاً من أمواله على شراء كتب

[1]–العمري: المصدر السابق، ص71.

[2]–المقريزي: المصدر السابق، ص143.

[3]–العمري: المصدر السابق، ص71.

[4]–المقريزي: المصدر السابق، ص143.

[5]–نفسه، ص143.

الفقه المالكي وزود بها بلاده، واطلع عليها الكثير من العلماء والسكان، وازدادوا فهماً ووعياً بالدين[1].

أدى كلّ ذلك إلى انتشار الكثير من المكتبات العامة والخاصة التي كان يقصدها العلماء والحكام والطلاب في سبيل البحث والمطالعة، ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة أسرة آل أقيت التي أثْرَت الثقافة الإسلامية والفكر العربي في إفريقيا، وقد اهتموا بتزويدها بالكثير من أمهات الكتب وفي شتى أنواع العلوم والموضوعات.

وكان معظمها مِمَّا جلبه الحجاج معهم أثناء مرورهم ببلاد المشرق الإسلامي، أما بعضها الآخر فتم شراؤه من بعض التجار[2]، وكثرة الكتب ترجع إلى التزاوج بين عائلة أندغ محمد مع عائلة أقيت، ونتج عن ذلك أن اجتمع لدى أحمد بن عمر بن أقيت كثيرٌ من الكتب التي ورثها عن أخواله من أسرة أندغ محمد، بالإضافة إلى مكتبة أسرته[3]، ويقول أحمد بابا التنبكتي: "وترك جدي (أحمد بن عمر بن أقيت) نحو سبعمائة مجلد"[4].

وهناك أيضاً مكتبة ماسنة الإسلامية، وهي مكتبة خاصة للعالم عبد الرحمن السعدي، تميزت بتنوع كتبها التي جلبها من مختلف بلاد العالم الإسلامي، مثل الحجاز واليمن والشام والعراق والسودان والمغرب[5]

رابعاً: التقاء علماء إفريقيا بأقرانهم ومنهم:

- أبو عمرو بن موسى الجاني: فقيه مالي وكبير قضاتها، نبغ في رواية التّاريخ، اتصف بالعدل وحب العلم، لا يخاف في الله لومة لائم، لقد ساعدت رحلة الحج على ترسيخ اللغة

[1]–نفسه، ص113.

[2]–محمد الغربي: المرجع السابق، ص557.

[3]– محمد بن أبي بكر البرتلي: المصدر السابق، ص27.

[4]– محمد الأمين الجكني الشنقيطي: المرجع السابق، ص ، ص 254.

[5]– جوزيف جون، المرجع السابق، ص 114.

العربية في إفريقيا الغربية، فلكونها الوعاء الثقافي للإسلام، كان اهتمام الأفارقة كبيرا بتعلّمها كجزء من التدين، وكانت الفرصة سانحة لذلك خلال رحلة الحج، بواسطة المرافقين من شمال إفريقيا، والاحتكاك بالناس، بسبب البيع وتأمين الحاجات، وكذلك النقاش مع سكان بلدان الطريق، ذلك كله كان يرسّخ اللغة العربية، وبالتالي يرسّخ الإسلام، ويساعد على التفقّه فيه[1]،كما كان عدد من الحجاج يعودون مُلمّين باللغة العربية، فيقومون بإنشاء المدارس لتعليمها، ولتحفيظ القرآن الكريم، ونشر عقائد الإسلام الصحيحة[2]، ممّا أدّى لنشوء العديد من المراكز الثقافية الإسلامية المشهورة،التي تعتمد اللغة العربية، في أهم المدن مثل:ت مبكتو، وجني، وسكتو، وكانم. وغدت اللغة العربية واسعة الانتشار، في غرب إفريقيا، واستُخدمت لغة اتصال مشتركة بين العديد من القبائل الإفريقية التي لكل منها لغتها الخاصة، وتُعدّ الآن اللغة العربية، الدَّارجة هي لغة التخاطب الأساسية هناك[3]، كما أسهمت رحلات الحج في تطور العلوم الإسلامية، بواسطة انتقال مصنّفاتها، وفتاواها واطّلاع طلاب العلم عليها،[4] فقد كان قسم كبير من حجّاج غرب إفريقيا مهتمّين بتحصيل العلم عن طريق الالتقاء بعلماء البلدان التي يمرون بها في أثناء رحلة حجهم، خاصة أن هؤلاء الحجّاج كانوا يعودون، محمّلين بالكُتُب الدينية، التي تزيد من علم الأفارقة، وثقافتهم الدينية والدنيوية. ولا يخفى الأثر البالغ الذي حقّقته رحلات الحج على تمسّك مملكة مالي الإسلامية بأحكام الشريعة الإسلامية الصحيحة". وبفضل تلك الرحلات، صارت دول غرب إفريقيا مسلمة في بنيتها، حيث تبنّت ما تم نقله من الشرق. العربي المسلم، من عقائد، وممارسات، ومظاهر مادية، ولامادية"[5].

---

[1]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ص 701–702.

[2]– عبد الحليم رجب محمد: المرجع السابق، ص ص79 .

[3]– الشنقيطي الجكني محمد الأمين: المصدر السابق، ص 254.

[4]– 23جوزيف جون: المرجع السابق، ص114.

[5]– قاسم عبده: مسلمو غرب إفريقيا على طريق الحج عبر مصر في زمن السيادة الإسلامية، دار عين للدراسات، القاهرة ،2015، ص66.

أما السلطان أسقيا محمد سلطان صنغاي، فقد تأثر بما رآه في مصر من نُظُم الحكم والإدارة، واتصل بعدد من علماء مصر، منهم الإمام السيوطي. ولما عاد إلى صنغاي، طبّق الكثير من النُّظُم التي تعرّف إليها بمصر، وأحاط نفسه بالعلماء والفقهاء، وأَولى جامعة تمبكتو عناية خاصة.

وقد تجلّى أثر رحلات الحج على ازدهار العلوم الإسلامية في مدن دولتَي مالي وصنغاي، مثل: تمبكتو وجني، حيث انعكست الآية، وأصبحت هذه المدن مركزاً لجذب طلاب المشرق، وعلمائهم، ممّا كان له الأثر في تعميق تبادل العلوم الإسلامية والحضارية. ومن الأمثلة الواضحة هنا، نجد رحلة الحج لملك مالي "منسى موسى"، التي ساهمت كثيرًا في تطور الإسلام في مالي، فقد حرص في أثناء رحلته على شراء كُتُب إسلامية كثيرة خاصة في الفقه المالكي، وترتبط رحلة حجه أيضاً بإنشاء أول المساجد الجامعة الكبيرة في تمبكتو، وحول هذا الجامع تكوّنت النواة الأولى للعلماء والمفكرين المسلمين في تلك البلاد وحوله وحول ما تلاه من جوامع، أُقيمت عشرات المدارس الإسلامية التي ضمت آلاف من طلاب العلم الوافدين من أنحاء غرب إفريقيا[1]

إن علماء وفقهاء السودان الغربي قد بلغوا درجة رفيعة من العلم والثقافة لا تقل عمّا وصل إليه العلماء في المناطق الإسلامية الأخرى، ويعود ذلك إلى أدائهم فريضة الحجّ ومجاورتهم لعلماء الحرمين ومشايخهم والدراسة عنهم.

[1]–ميغا هارون المهدي: المرجع السابق، ص111.

خامساً: فن العمارة

ممّا يؤكده الرّواة عن رحلة حج الملك منسى موسى هو تأثر البلاط الملكي لمالي بالمراسيم والنُّظُم التي كان يعمَل بها في بلاط سلاطين المماليك في مصر. كما أن موسى اصطحب معه في طريق عودته المهندسين والمعماريين، الذين ساعدوا على إقامة نهضة حضارية ومعمارية في غرب إفريقيا، ومن هؤلاء "الساحلي"[1]والذي كان مقربا جدا من سلطان مالي الحاج منسى موسى، فاتخذه مستشارا خاصا ومشرفا على انجاز كثير من المشاريع الثقافية والعمرانية، حيث كلف بمهمة تطوير العمران في مملكة مالي، وبذلك أدخل إلى مملكة مالي وإفريقيا الغربية، أساليب البناء الأندلسي في تشييد المساجد والقصور، ممّا جعل هذا الطرّاز هو الغالب في تلك البلاد[2].

وقام الساحلي بتصميم جامع تمبكتو الكبير، والإشراف على بنائه، ليكون النواة الأولى لعدة صروح في مالي، وقد تحول المسجد مع الزمن إلى مركز للعلوم الشرعية والدنيوية، وما تزال آثار هذه العمائر من مساجد وقصور موجودة حتّى الآن[3] وقد أشار السعدي في تاريخه إلى التغير في العمارة والعمران بالسودان الغربي وتنبكتوعلى الخصوص، بالمفهوم الواسع لكلمة (عُمران) الذي يشمل الحضارة والثقافة، فقال: "فكانت تنبكت خراب بير، فأوّل الحال كانت مساكن الناس فيها زريبات الأشواك وبيوت الأحشاش، ثم تحولوا من هذا إلى بناء الحُيوط أسوارا قصارا جدا، بحيث من وقف في خارجها يرى ما في داخلها، ثم بنوا مسجد الجامع على حسب الإمكان، ثم مسجد سنكري كذلك، ومن وقف في بابه يومئذ يرى الحيطان والبنيان، وما ثبتت

[1]–الساحلي: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، الملقب "طويجن"، أديب ومهندس معماري أسباني الأصل، خرج من مدينة غرناطة في أوائل القرن 8هـ/14م لتأدية فريضة الحج المكرّمة، فالتقى في مكة سلطان مالي منسى موسى سنة 724 هـ 1324 م، فدعاه السلطان لمرافقته، وبقي في مالي إلى وفاته في مدينة تنبكتو سنة 747 هـ 1346م.

[2] الشنقيطي الجكني محمد الأمين: المرجع السابق، ص255

[3] ابن محمد عبد الله: المرجع السابق، ص163.

عمارته إلا في أواخر القرن التاسع، وما تكامل البناء في الالتصاق والالتئام إلا في أواسط القرن العاشر في مدة أسقيا داوود ..."

المبحث الثّالث: التأثير الاجتماعي للرحلة الحجية على بلاد السودان الغربي

أولاً: التواصل الاجتماعي بين السودان الغربى والعالم الإسلامي

كان حجّاج إفريقيا الغربية والمرافقون لقوافلهم من تجّار وحرّاس يعدّون من أهم المصادر الشفوية، لنقل أخبار ما خلف الصحراء الإفريقية الكبرى، لبقية أنحاء العالم الإسلامي، عبر نشرها في طريق حجهم[1]ومن طرف آخر، كان رواد قافلة الحج هم المصدر الوحيد، لما ينقل لأهل بلادهم عن أخبار البلاد الإسلامية التي جابوا فيها، في طريق حجهم، وما سمعوه من الحجّاج الذين التقوهم في الطريق، أو في موسم الحج بأرض الحجاز. وكان من المعتاد أن يروي الحاج لأهله وأصحابه حول مشاهداته، وما حدث معه في أثناء الطريق، وفي مناسك الحج. وصحيح أن قلّة من الحجّاج دوّنوا مشاهداتهم، لكنهم جميعاً كانوا رواة أخبار في مجتمعاتهم بعد العودة، وحتّى لو لم يفكر الحاج بالرواية، أو لم يكن مستعداً لها، فإن الإلحاح بالأسئلة كفيل بأن يجعله يروي أدق التفاصيل المملّة لرحلته، التي يُفترض أنها كانت عجائبية، في ذلك الوقت. ولذلك ظلت قوافل الحجيج بالغة الأهمية في التواصل عبر نقل الأخبار الصحيح منها والملفق، لاسيما إلى الأقطار المنعزلة التي لا يصلها بالعالم الإسلامي، إلا رحلات الحج[2]كما كانت رحلة الحج فرصة كبيرة، ليتعرف الحجّاج على إخوة لهم من المسلمين، على تباعد بلادهم. وكذلك التعرف على ديار الإسلام، واكتشاف ميزات وفضائل المدن الإسلامية. فالحج وطريقه الطويل، أتاحا حيزاً كبيراً لنقل الأخبار، وللتعرف على ديار الإسلام الواسعة، وشعوبها المختلفة[3].

---

[2] –ولد السالم حماه الله: المرجع السابق، ص2.

[3]–الأبيض: أنيس، رحلة الحج من الأندلس، كما وصفها ابن جبير، دار ابن رشد، بيروت، 2015، ص43.

ثانيا: التأثّر بالعادات والتقاليد العربية الإسلامية

كان لرحلة الحج أهم الأدوار في استمرار التنوير الإسلامي لمجتمعات غرب إفريقيا، فقد كانت الرحلة صلة وصل تثقيفية إسلامية، بينها وبين مركز العالم الإسلامي، في بلاد الحرمين والمراكز الإسلامية الكبرى في شمال إفريقيا، وقد ساعد ذلك في تصحيح عقائد القبائل الإفريقية حديثة الإسلام، حيث كان الحجّاج يعودون بعد أداء الفريضة وهم أكثر وعياً وتفهّماً لدينهم، بسبب ما كانوا يتلقّونه في مجالس العلماء والوعَّاظ، فساهموا في التصدي للكثير من المفاهيم الخاطئة، والبدع، والعادات التي كانت منتشرة، ومن بين الأدلّة على تبني الأفارقة مفاهيم خاطئة في ممارسة بعض شعائر الإسلام، ما روي عن حاج من فولتا العليا "بوركينافاسو الحالية" اسمه محمد عبد السلام عمر، قال:"عندما ذهبت إلى الحج من السودان الشرقي التقيت ببني جلدتي من فولتا العليا في الكعبة أثناء الطواف فسلّمت على واحد وتعرفت عليه ثم أخبرته بأن أبي من منطقة (كايا) وأنا ولدت في السودان، قال لي الحمد لله الذي أنعم علي بنعمة الحج فإننا في منطقتنا لا يسمحون لك أن تصلّي مع الجماعة في الصّف الأول ما لم تكن حاجّا، إذن أنا بعد الآن سأكون من الذّين يصلّون في الصّف الأول ؟"، فرغم أن هذا الاعتقاد الإسلام بريء منه ويخالفه إلا أنه يدل على تعظيم شعيرة الحج لدى هؤلاء الناس، ثم طلب منه فصل المسألة من أحد الشيوخ في الحرم الشّريف[1].

ومن الاعتقادات الخاطئة أيضا أن بعض المجتمعات في فولتا العليا إذا رجع الحاج بعد أداء فريضة الحج وناداه شخص أخر باسمه دون أن يقول: " الحاج فلان" لا يرضى وقد يحذرك من ذلك شفاهة، أضف الى ذلك أن الحاج إذا رجع الى بيته لا يعاشر زوجته إلّا بعد مرور أربعين يوما، وكان الحجاج يقومون بالدّعوة الى الله سبحانه وتعالى مبتدئين بأنفسهم حيث كان معظم الحجاج قبل أداء فريضة الحج يؤمنون بالسحر ولكن معظمهم قاموا بحرق ما يملكون من السحر

[1]–أ. سيسي محمود: طرق الحج في بوركينا فاسومنذ القدم قبل ظهور وسائل النّقل الحديثة، بحث منشور على موقع البحث قوقل ص 13.

والكجور، وهو نوع من طقوس السحر مارسته قبائل إفريقية خاصة في النوبة و بعد عودتهم من الحج حتى إن بعضهم قاموا بحرقها حتى قبل أداء الفريضة[1].

فبذلك أثّر الحج في نشر الوعي الدّيني وتصحيح بعض المعتقدات والمفاهيم، حيث شكّل الحج وسيلة مهمة في نشر الوعي الدّيني بين المسلمين الأفارقة، وقد ساعد في القضاء كذلك على كثير عاداتهم المذمومة التي كانت سائدة في مجتمعاتهم، كانعدام الغيرة، وعدم لبس الحجاب، وانتشار الاختلاط، وصحبة النساء دون أن ينكر أحد منهم ذلك، إلّا أن السّلاطين بعد الحج أجبروا النساء على إتباع التعاليم الإسلامية في الزي ومنع الاختلاط[2].

وقد تعلّم هؤلاء السلاطين من العلماء الكثير من أمور الدّين وأحكامه، كما نهوهم عن أفعال وأمور مخالفة كانوا يفعلونها ويظنّون أنها من الإسلام، ومنها ما اعتاد أهل مملكتهم على فعله من تقديم بناتهم لهم فيملكهنّ من غير زواج ويقول ابن أمير حاجب " هذا مع كون السلطان موسى منسى متدينا محافظا على الصّلاة والقراءة والذّكر، قال له: إن مثل هذا لا يجوز ولا يحِلُّ لمسلم شرعا ولا نقلا، قال: ولا للملوك؟ فقلت: ولا للملوك، واسأل العلماء، فقال"والله ماكنت أعلم، وقد تركت هذا ورجعت رجوعا كليّا عنه "[3].

وما يبين تأثر المجتمع السوداني الغربي بركن الحج أن اسم أو لقب الحاج أضحى مقدسا ورافعا لهمة صاحبه، وأصبح تسمية المواليد الجدد يأخذ أسماء بعض مناسك الحج ومعالم الحج، حيث تؤكد شواهد بعض القبور التي اكتشفت في منطقة "ساني **Saney**"، التي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة " جاو"، لسيدة مسلمة لا تنتمي إلى الأسرة الحاكمة، تدعى" مكّية بنت حسن الحاج "، فاسم صاحبة الشاهد يبين مدى التأثر بالإسلام وشعائره، فهذا الاسم جاء تيمنا بمدينة "مكّة" التي تضم بيت الله الحرام قبلة المسلمين، ويتضح من اسم أبيها أنه ظفر بحج بيت

[1]–أ. سيسي محمود: البحث السابق، ص 14

[2]–أحمد شلبي، موسوعة التّاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1418هـ/1998 م، ج 6، ص266.

[3]–العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص68–69.

الله الحرام بمكّة المكرّمة، والرّاجح أنه أنجب ابنته هذه بعد أداء فريضة الحج، وأطلق عليها الاسم تبرّكا بمكّة[1].

خاتمة الفصل الثالث:

كان للرحلات الحجية السودانية دورا تاريخي في ربط إفريقيا جنوب الصحراء بالعالم الإسلامي بالإضافة إلى الدور الحضاري لهذه الرحلات حيث عرفت بلاد السودان الغربي نقلة حضارية في مختلف المجالات، وهو ما جلب إليها الأنظار خاصة بعد بروز الكشوفات الجغرافية الأوروبية التي ساهمت في الخراب الذي تعرضت له إفريقيا وكل بلاد العالم الإسلامي.

[1]–حسين سيد عبد الله مراد، مملكة صنغاي، قراءات إفريقية 4.13 سبتمبر 2012، ص15.16

الخـــاتمة

تعد الرحلات الحجية السودانية التي شهدها التاريخ الإسلامي مابين التاريخ الهجري الثامن والثاني عشر الموافق للقرن الرابع عشر والثامن عشر الميلادي من أهم الأحداث التي أرخت بتاريخ السودان الغربي بأحرف من ذهب، وساهمت في تعميق الاعتقاد بالدين الإسلامي لدى تلك الأمصار سواءً حكاما أو محكومين، ومن خلال دراستنا لأهم الرحلات وأثرها الحضري العابرة للسودان الغربي، يمكننا أن نقف على أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من هذا البحث، والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- دور حكام المماليك في السودان الغربي في توسيع وتوطيد رقعة وانتشار الإسلام على المذهب المالكي من خلال إنفرادهم بقيادة الرحلات الحجية.
- تعلق مسلمي السودان الغربي بالإسلام وتأدية ركن الحج وتحمل مشاق رحلته، كان أحد أهم الوسائل التي أثرت في المجتمع السوداني وفي نمط حياته السياسية والاقتصادية والثقافية.
- التأثير الاقتصادي والعمراني على العالم الإسلامي وخاصة محطات وطرق رحلات الحج حيث ساهمت الرحلات الحجية في نشر المذهب المالكي بجلب العلماء المالكيين الذين وافق فقههم الكثير من الأعراف الاجتماعية التقليدية في المجتمعات السودانية الغربية، مثل العرف والمصلحة المرسلة وسد الذريعة وعمل أهل المدينة، وما انبثق عنها من فروع فقهية في المعاملات والأحوال الشخصية.
- مساهمة الرحلات الحجية في صقل الموروث الثقافي في بلاد السودان الغربي ونقلها لمصاف الحواضر الإسلامية التي أضحت منارات للعلم والعلماء، تشد إليها الرحال للنهل من إشعاعها الثقافي.
- تأثر حكام السودان الغربي بحواضر العالم الإسلامي خاصة في المشرق، حيث لعبت رحلة الحج دورا كبيرا في تقوية المكانة السياسية لكياناتها واستقرار نظم حكمها الإدارية، وكذا تأسيس علاقات متنوعة وعلى جميع الأصعدة مع بلدان أخرى.

- **اعتبار الرحلات الحجية من المؤثرات الهامة لنقل العادات والتقاليد العربية والإسلامية ومن المناطق التي تعبرها قوافل الحجيج إلى بلاد السودان الغربي وانعكاس ذلك إيجابا على تصحيح الكثير من الطبائع والمعتقدات السودانية الخاطئة والمخالفة للشريعة الإسلامية.**
- **ساهمت الرحلات الحجية السودانية في ولوج حواضر التاريخ الإسلامي بأن أضحت معلما تاريخيا بلغت شهرته وصيت إشعاعه الحضاري للعوالم الأخرى، وهو ما أستقطب الكشوفات الجغرافية التي سوف تضع موضع قدم للاستعمار الأوروبي لاحقا.**

هذه جملة من تبعات وانعكاسات الرحلات الحجية السودانية التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا، والتي نعتقد جازمين بأنه ما يزال في حاجة ماسة إلى الدراسة والتعمق في غياهب أحداثه.

الملاحق

الملحق 01: مسجد جينيه الكبير

المصدر: راضية آية خداش، مسجد جينيه الكبير أكبر مبنى من الطوب في العالم، مجلة البيان **2012/12/26**

الملحق 02: صورة منسى موسى كما صورة المكتشفون الإسبان وهو يمسك بالذهب

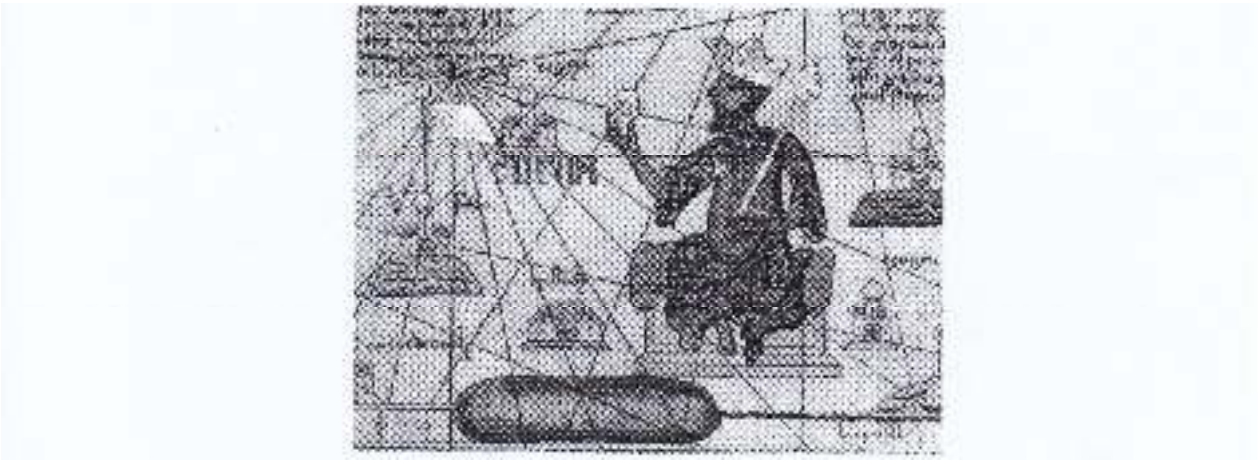

المصدر: خالد عادل، منسى موسى أحد أشهر زعماء الإسلام في إفريقيا، مجلة مجتمع بوست

الملحق 03:

طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالي أفريقيا

المصدر: الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطباعة والنشر، ص197

الملحق 04: خريطة توضح بلاد السودان الغربي

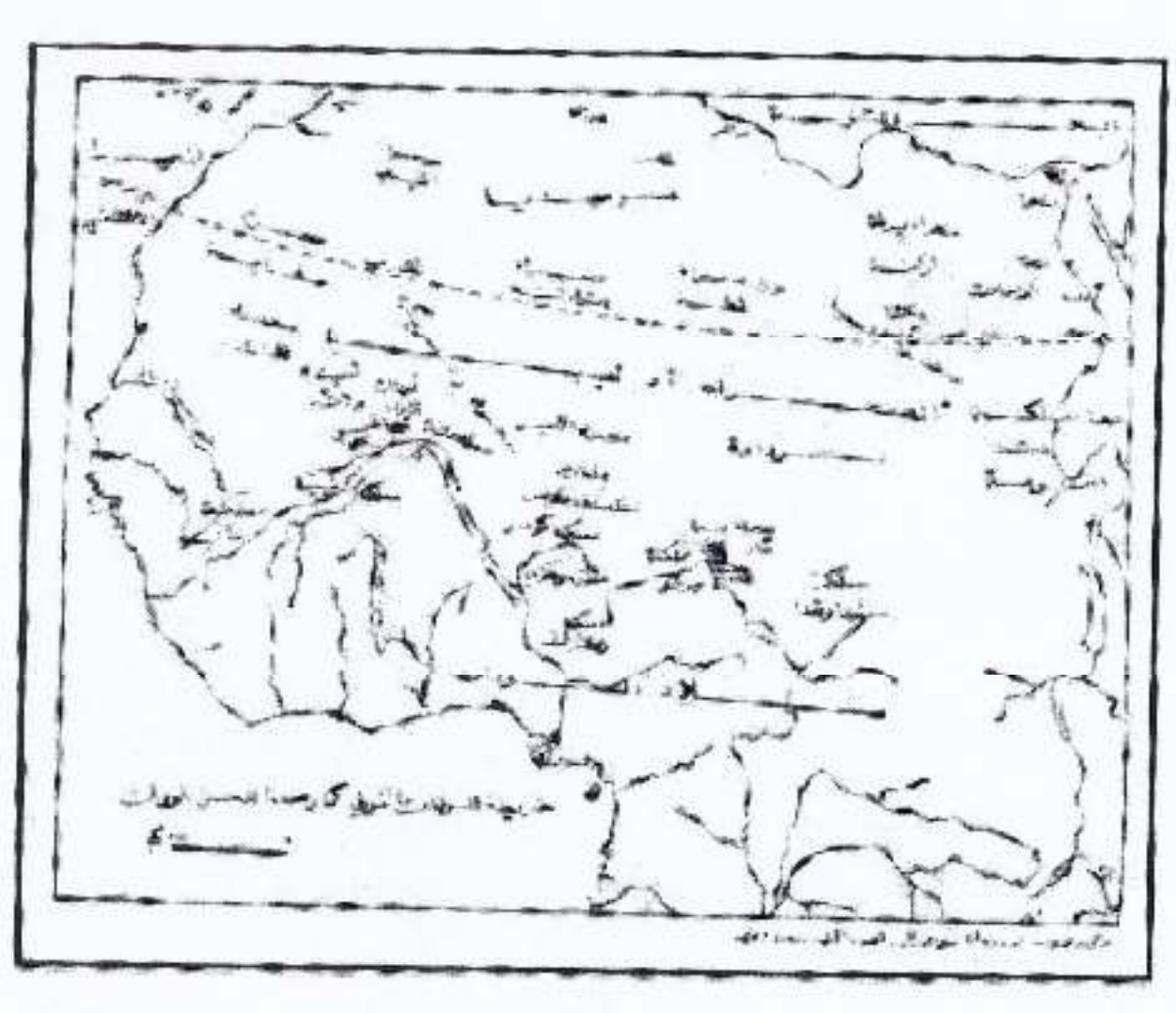

المصدر: الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية 1999، ص261.

الملحق 05: دولة مالي في أقصى اتساعها زمن منسى موسى

المصدر: الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطباعة والنشر، ص196

ملحق 06: مسجد سيدي يحي بتنبكت

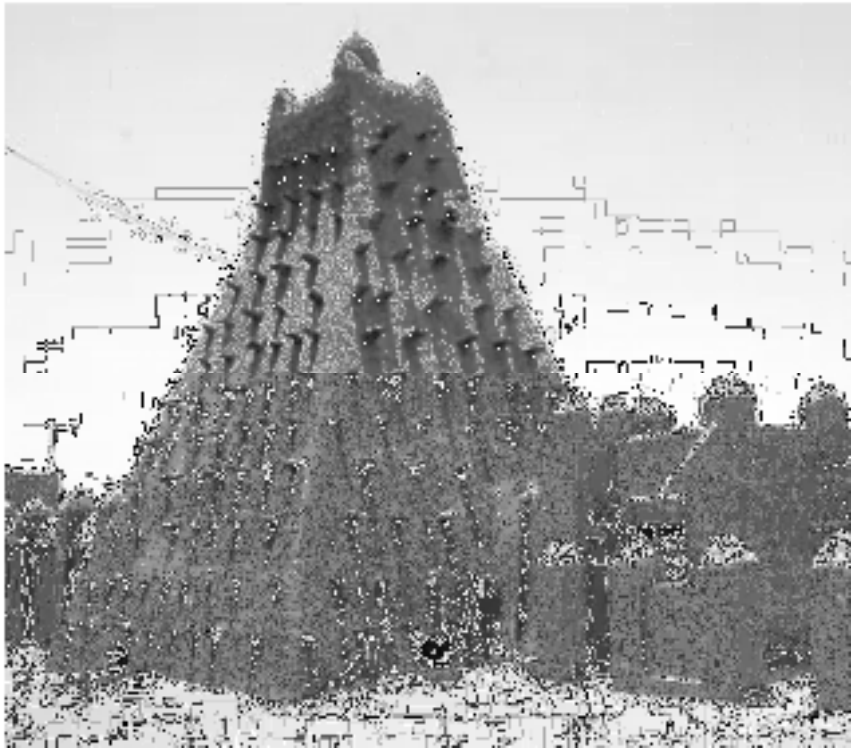

المصدر جرورو عبد الرؤوف جريدة النخبة الجزائرية تمبكتو جوهرة الصحراء 2017/02/01

ملحق 07: صورة من مخطوط رحلة البشير البرتلي

المصدر: مقال حول اكتشاف مخطوط لرحلة الحاج البشير البرتلي إلى الحرمين الشريفين، جريدة الحياة، العدد 19321، 2016/02/27.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرءان الكريم
- الحديث النبوي الشريف: سنن الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، باب فضل مكة، ج 5، تحقيق إبراهيم عطرة، القاهرة، مطبعة الحلبي، 1380هـ / 1965م،

أولا: المصادر:

- التنبكتي، محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، ترجمة هوداس ودي لافوس، باريس، 1383هـ / 1964م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحها وكتب هوامشها طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1423هـ / 2002م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ / 1992م، ج 6، ص 237.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ / 1997م، ج 3.
- التنبكتي، أبوالعباس أحمد بابا بن أحمد: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1410هـ / 1989م.
- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مصطفى أبوضيف أحمد، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر (ممالك إفريقيا ما وراء الصحراء وممالك إفريقية وتلمسان وجبال البربر وبر العدوة والأندلس)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ / 1988م.
- المقريزي، أحمد بن علي: الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، (د –ت).

- أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ / 1981م
- التنبكتي، كفاية المحتاج في معرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، 1420هـ / 2000م، ج 1، ص 138، أحمد بابير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق: الهادي المبروك الدالي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 1421هـ / 2001م.
- الأرواني مولاي أحمد بابير، السعادة الابدية: في التعريف بعلماء تنبكت البهية (د–ت) الهادي المبروك الدالي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه.
- ابن فرحون المالكي، أبومحمد عبد الله بن محمد: تاريخ المدينة المنورة المسمّى نصيحة المشاور وتعزية المجاور، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ / 1995م.
- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د –ت).
- القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 5، المؤسّسة المصرية العامة للتأليف، دار الفكر، بيروت، 1407هـ / 1987م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن كمال الدين: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1387هـ / 1968م، (د –ت)
- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 8، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ / 1998م.

ثانيا: المراجع:

- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، (د –ت).

– الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407هـ / 1987م.
– الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، (د –ت).
– فضل كلود الداكو، الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1419هـ / 1998م.
– مسعود عمر محمد: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، (د – ت).
– عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم: الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية في إفريقيا في عصر سلاطين المماليك في الفترة من (648 – 933هـ / 1250 – 1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1422هـ / 2002.
– (15) محمد أمين المؤدب: جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا، بحث ضمن إصدار بعنوان (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1 (د – ت).
– أمين توفيق الطيبي: أثر الإسلام الحضاري في مالي وغانا في العصر الوسيط من ق 10 – 14م، بحث ضمن إصدار بعنوان: (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1 (د – ت).
– عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، (د– ت).
– حجازي علي طراوه: دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي الراشدين والأمويين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1423هـ / 2003م.
– طرفة العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة.
– أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي: 628 – 834هـ/ 1230 – 1430م)، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1420هـ / 1999م.

– السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر: تاريخ السودان، باريس، 1384هـ/ 1964م.

– عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د – ت).

– آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، نشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر (د – ت)،

– الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، 1422هـ / 2002م.

– محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسّسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م.

– النباهي، أبوالحسن علي بن عبد الله بن محمد: تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1400هـ / 1980م، ص 168، 169.

– نبيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقية الإسلامية: انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1427هـ / 2007م.

– هوبير ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1376هـ / 1956م.

– إبراهيم طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة جامعة جامعة أم درمان الإسلامية،(ع 2، 1389هـ / 1969م.

– شوقي الجمل: دور العرب الحضاري في إفريقيا، بحث ضمن إصدار بعنوان (العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر)، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1407هـ / 1987م.

– يوسف الخليفة أبوبكر: أثر الحرف العربي على اللغات الإفريقية، بحث ضمن إصدار بعنوان: (العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1406هـ / 1985م.

– عبد السلام أبوسعيد: العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، بحث ضمن إصدار بعنوان: (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

– جبريل بن المهدي: إمداد الصحوة الإسلامية بخلاصة تاريخية عن إمبراطورية صنغاي الإسلامية، (بحث غير منشور)،

– عبد الفتاح الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د–ت).

– أمحمد مصباح الأحمد: تاريخ العلاقات العربية الإفريقية، دار الملتقى، بيروت، 1421هـ / 2001م

– محمد محمد أمين: علاقات دولتي مالي وصنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم (ع 4، 1395هـ / 1975م)،

– مسعود عمر محمد، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، (د – ت).

ثالثا: الرسائل والمذكرات الجامعية

– أمين محمد: "علاقات دولتي مالي و صنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك"، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم (ع 4، 1395هـ / 1975م).

– بوسعيد أحمد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518،1830)، أطروحة الدكتوراه، اش: محمد حوتية، قسم العلوم الانسانية، جامعة أدرار، الجزائر، 2017–2018.

– الحارثي عبد الله خضران: الرحلة في طلب العلم عند لعض مربين المسلمين في العصر العباسي وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير في قيم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430.1431هـ.

– ضيفي عثمان عبد النعيم: الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية في إفريقيا في عصر سلاطين

المماليك في الفترة من (648 – 933هـ / 1250 – 1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1422هـ / 2002م.

– قدوري عبد الرحمان: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي، دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، في العصر الوسيط، إش: بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان(د.س).

– مقاديم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي، سنغاي)، ق7 هـ/13،16م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إش: عبد المجيد بن نعيمة ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلّة، وهران.

رابعاً: الملتقيات والمقالات

– بشار أكرم جميل: "رحلة حج السلطان موسى بن أبي بكر التكروري، 724–1324"، مجلة أ/د حسين سيد عبد الله مراد: "مملكة صنغاي"، مجلة قراءات تاريخية، ع13، سبتمبر 2012اب الرافدين، 79، 2019 .

– أبو بكر يوسف الخليفة: "أثر الحرف العربي على اللغات الإفريقية"، (العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1406هـ / 1985م

– بناني عثمان: "السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، ع269 أبريل1988.

– حسين سيد عبد الله مراد: مملكة صنغاي، قراءات إفريقية، 4.13 سبتمبر 2012.

– حماه الله ولد السالم: "رحلات الحج من موريتانيا (بلاد شنقيط) وإسهامها في التواصل المشرقي المغربي"، المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين، قطر، من 5–9 ديسمبر 2010.

– حنفي مصطفى: "ثقافة الصحراء والعمق الإفريقي للهوية الثقافية العربية الإسلامية"، بحث

ضمن إصدار بعنوان: (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

– حنفي مصطفى: "ثقافة الصحراء والعمق الإفريقي للهوية الثقافية العربية الإسلامية"، بحث ضمن إصدار بعنوان: "أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء"، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د. تشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1422هـ / 2002م.

– أبو سعيد عبد السلام: "العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها"، بحث ضمن إصدار بعنوان: (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

– سيسي محمود: "طرق الحج في بوركينا فاسو منذ القدم قبل ظهور وسائل النّقل الحديثة"، بحث، بلا.

– الشيخلي صباح إبراهيم: "أثر رحلات الحج في نشوء الوظائف والمؤسسات الإدارية وتطورها في بلاد السودان الغربي"، اللجنة العلمية لمؤتمر طرق الحج في إفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، 2016.

– الطيبي أمين توفيق: أثر الإسلام الحضاري في مالي وغانا في العصر الوسيط من ق 10 – 14م، بحث ضمن إصدار بعنوان: (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1 (د – ت).

– عبد الله أبو محمد: "رحلة منسى موسى"، المجلة العربية،، ع 472، الرياض، جمادى الأولى 1437هـ.

– فايد سفيان: "مملكة مالي في عهد الملك منسى موسى"، مجلة دراسات إفريقية بالجزائر، ع3، جامعة الجزائر2 أبو قاسم سعد الله، 7 ماي 2019.

– مسعود عمر محمد: "تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي"، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، (د – ت).

– مقاديم عبد الحميد، عبد المجيد بن نعيمة: "رحلات حج سلاطين السودان الغربي وأثرها الحضاري"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، مج 13، ع01، جوان 2018

– مقال، "دوري العلاقات الإفريقية المصرية على ضوء رحلة السلطان منسى موسى إلى الديار المقدسة سنة 1324م" مجلة البيان، العدد 418،29، ماي 2022.

– المهدي جبريل: إمداد الصحوة الإسلامية بخلاصة تاريخية عن إمبراطورية صنغاي الإسلامية، (بحث غير منشور).

– المؤدب محمد أمين: "جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا"، بحث ضمن إصدار بعنوان (أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء)، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1 (د – ت).

– ميغا هارون المهدي" التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا" ، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، فبراير 2016.

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
إهداءات	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	
الفصل الأول: دراسة مفاهيمية	
مقدمة الفصل	5
المبحث الأول : دراسة جغرافية للسودان الغربي	5
أولاً: تحديد الموقع الجغرافي وأصل التسمية	5
ثانياَ: الخصائص الطبيعية	6
ثالثا: الخصائص البشرية	8
المبحث الثاني: مفهوم الركب والرحلة الحجية	10
أولاً : مفهوم ركب الحج	10
ثانياَ: مفهوم الرحلة	11
المبحث الثالث: الحج السوداني داوفعه وطرقه	12
أولاً: دوافع الحج السوداني	12
ثانياَ: طرقه (المسالك والمحطات)	14
المبحث الرابع: شيوخ ركب الحج السوداني	17
أولاً: الفقيه القاضي محمود بن عمر آقيت	18
ثانياَ: الفقيه القاضي بن محمود بن عمر آقيت	19
ثالثا: محمد بغيغ محمد البغيغ	20
رابعا: الفقيه محمد إبن أحمد التازختي	21
خامسا:الفقيه أبو بكر إبن أحمد بن محمد آقيت	21
خاتمة الفصل	21
الفصل الثاني: أهم الرحلات الحجية السودانية	
مقدمة الفصل	22
المبحث الأول: رحلة منسى موسى 724هـ – 1324م	22
المبحث الثاني: الرحلة الحجية للأسقيا الحاج محمد الكبير 902هـ – 1496م	27
المبحث الثالث: رحلة البرتلي الولاتي 1402هـ – 1789م	30
أولا: الطريق من ولاتة إلى أزاواد	30
ثانيا: الطريق من المبروك إلى توات	31
ثالثا: الطريق من عين صالح إلى قرى فزان	32

رابعا: دخول الركب الى مصر	33
خامسا: الطريق من مصر إلى الحجاز	35
سادسا: الطريق من مكة إلى المدينة المنورة	35
سابعا: طريق العودة إلى الديار	35
خاتمة الفصل	35
الفصل الثالث: الدور الحضاري للرحلات الحجية على بلاد السودان الغربي	
مقدمة الفصل	36
المبحث الأول: إنتشار الإسلام و المذهب المالكي	36
أولا: نشأة وانتشار المجاورة بين حجاج السودان الغربي	36
ثانيا: دور الحج وتوجيه وتصحيح المفاهيم العقائدية على المذهب المالكي	43
المبحث الثاني: إنتشار العلوم والثقافة العربية ولغتها	46
اولا: إزدهار الحركة العلمية	46
ثانيا: إنتشار اللغة العربية	48
ثالثا: إنتشار الكتب والمكتبات	50
رابعا: إلتقاء علماء إفريقيا بأقرانهم	51
خامسا: فن العمارة	53
المبحث الثالث: التأثير الإجتماعي للرحلات الحجية على بلاد السودان الغربي	55
اولا: التواصل الاجتماعي بين السودان الغربى والعالم الإسلامي	55
ثانيا: التأثر بالعادات و التقاليد العربية الإسلامية	56
خاتمة الفصل	58
الخاتمة	59
الملاحق	61
المصادر والمراجع	68
الرسائل الجامعية	72
المقالات	73
الفهارس	
فهارس الأعلام	
فهارس الأماكن	
فهارس الموضوعات	

الملخص بالعربية:

تبين هذه الدراسة أهمية الرحلات الحجية السودانية وأثرها الحضاري على السودان الغربي خلال الفترة ما بين القرنين 8–12هـ / 14–18م، تعرفنا من خلالها على الموقع الجغرافي للسودان الغربي، وأصل التسمية بالإضافة إلى أهم الرحلات الحجية وإبراز الدور الحضاري لها في مختلف المجالات، وكذا أهم الشخصيات وشيوخ الركب الحج السوداني.

الكلمات المفتاحية: السودان الغربي، منسى موسى، الأسقيا، الرحلات الحجية، الركب.

Résumé

Les voyages de pèlerinage effectués à la Mecque par des fidèles des pays subsahariens jouaient un rôle historique et civilisationel dans le ralliement de l'Afrique subsaharienne au Monde musulman، ce qui expliquait la transition civilisationnelle considérable qu'avait connu le pays du Sudan dans divers domaines، ce qui avait permis d'attirer les regards، des explorateurs européens qui menaient notamment des découvertes géographiques en Afrique ، lesquelles ces explorations avaient contribué malheureusement à de la décadence de l'Afrique et par là même de tout le Monde musulman .

***Abstract**:*

The pilgrimage trips made to Mecca by faithful from sub-Saharan countries played a historical and civilizational role in the rallying of sub-Saharan Africa to the Muslim world، which explained the considerable civilizational transition that the country of Sudan had experienced in various fields. ، which had made it possible to attract the attention of European explorers who notably carried out geographical discoveries in Africa، which these explorations had unfortunately contributed to the decadence of Africa and therefore of the entire Muslim world.